

المغفلين في صفوفنا ركيزة تفوق إيران وإسرائيل





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٣٤)
شعبان- ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

المغفلون في صفوفنا ركيزة تفوق إيران وإسرائيل

نعم، هذه هي الحقيقة! نظام الملالي في طهران يستمد قسما كبيرا من قوته في بلادنا من المغفلين الذين في صفوفنا، وهؤلاء المغفلون ليسوا من العامة والسذج فحسب، بل الأخطر والمهم المغفلون من الساسة والإعلاميين والمثقفين والإسلاميين والعلمانيين، وطبعاً هناك شريحة أخرى من هؤلاء وهم العملاء والخونة لإيران، وهؤلاء كما قالت العرب «فالج لا تعالج»، فلا أمل فيهم ولا رجاء.

أما المغفلون والماضون في دعم وتأييد إيران وسياساتها فدوافعهم الطيبة والكارثية متنوعة، وإيران تعرف أن ولاءهم غير مضمون، لكنها تقبل منهم ذلك، فهي «تريد عنباً لا مقاتلة الناطور»، وهو ما يتحقق لها.

بعض الساسة المغفلين عندنا يتوهم أن إيران يمكن الوصول معها إلى تفاهم على المصالح وقسمة المكاسب أو النفوذ في المنطقة، وخاصة حين يتصدر المشهدَ ملالي لطفاء مبتسمون مثل رفسنجاني وخاتمي وروحاني، بخلاف المتزمتين والمتعصبين كنجاد.

ولذلك نجد دعوات للحوار والتفاهم وتقاسم النفوذ والأدوار، وخاصة أن أمريكا والغرب على وشك عقد صفقة مع إيران، فلماذا لا نجرب نحن أيضا عقد صفقة معها؟ قد يبدو هذا منطقياً، لكن إذا كانت إيران تفاوض القوى الدولية من سنوات طويلة دون الوصول لنتيجة واضحة، وطيلة تلك السنوات إيران تتقدم وتتوسع على غرار الإستراتيجية الإسرائيلية في التفاوض، فكلما قاربت المفاوضات على الوصول لنتيجة، تكون المعطيات الإيرانية والإسرائيلية على الأرض قد تجاوزتها وتعدّتها، مما يرجع المفاوضات لنقطة الصفر في كل مرة.

فهل يمكن للدول العربية الوصول لنتيجة مع إيران! خاصة وأن إيران تستفرد بها دولة دولة، وفي مفاوضات غير معلنة، ولا تكل إيران ولا تمل من دعوة العرب للتحاور بهذه الطريقة الخبيثة، فإذا كانت القوى الدولية مجتمعة لم تفلح في منازلة الخبث الإيراني، فكيف بدول عربية متفرقة؟ وهكذا تمضي إيران تشتت الصف العربي وتمزقه، مما يدفعها للأمام، وأكبر دليل على ذلك، حال أصدقاء سوريا من العرب، فقد نجحت إيران في تفريق صفهم بنزاعات على الحدود وعلى ملفات إقليمية، وإشغالهم في قضايا وتحدّيات محلية، مما أضعف دعم الثورة السورية، وجعل ظهرها مكشوفاً لا قوة يستند إليها.

أما الإعلاميون والمثقفون المغفلون فإيران تسوق عليهم خطاباً أيديولوجياً محملا بشعارات العداء للسياسات الغربية والإسرائيلية، وهؤلاء تدغدغهم هذه الخطابات وتستهويهم لإخلاصهم للعروبة وفلسطين، فيتقبلونها مع اعتراضهم على مواقف إيران وطائفيتها، لكنهم يقومون بعملية فصل بين إيران في العراق وسوريا واليمن ولبنان والبحرين، وبين إيران وإسرائيل، ويصرحون: طالما

أن إيران ضد إسرائيل – طبعاً بالشعارات فقط – فنحن مع إيران!

ويروْن أن التصدي للعدوان الإيراني يضعف من العداء العربي لإسرائيل! وهؤلاء المثقفون والإعلاميون حالهم كحال الأنظمة العربية التي احتضنت الاستبداد والفساد وحاربت الحريات والديمقراطية والشفافية بحجة الصراع مع إسرائيل، وفي الحقيقة لا هي صارعت إسرائيل ولا أصلحت نفسها، وهؤلاء لا يحاربون إسرائيل ولا يحافظون على ما تبقى من دول العرب!

والعجيب أنهم يقولون إن صد العدوان الإيراني يشعل الحالة الطائفية لمصلحة إسرائيل، وإيران تستغل ذلك لمواصلة العدوان بأمان لأن هناك من يعطل جرس الإنذار واستدعاء الإطفاء، وهكذا تقوم إيران بإلهاء العرب في قضايا طائفية متجددة تصرف الجهد عن إسرائيل، ويقوم المغفلون بتعطيل مقاومة العدوان، حتى نصل للصراع مع إسرائيل ولا نجد قوة نعتمد عليها، وإلا من دمر الجيش العراقي؟ أليست إيران، ومن يدمر الجيش السوري في حرب مع شعبه بكل الأسلحة التي لم تتحرك يوماً للدفاع عن العاصمة دمشق ضد ضربات سلاح الجو الإسرائيلي؟ أليست إيران.

وفوق هذا يرون الصفقات والمفاوضات الإيرانية الأمريكية تكرر، ولا يزالون يعتقدون أن إيران عدو حقيقي لإسرائيل وأمريكا!!

أما الإسلاميون المغفلون، فهم يظنون أنهم خارقو الذكاء بحيث يمكنهم التلاعب بالورقة الإيرانية مع إيران بحيث يكسبون دعمها لصالحهم في الصراع مع إسرائيل أو الأنظمة، وللأسف أنهم يعيشون في وهمٍ كبير، فإيران ليست جمعية خيرية ولا تدعم الإسلاميين لسواد عيونهم، وإنما لما تحققه من مصالح لها في اختراق المجتمعات السنية، وقد رأينا إيران وحزب الله يتفرجان على غزة وهي تُقصف في ٢٠٠٨، وإيران لم تتورع عن الغدر بالإسلاميين في مصر وسوريا ولبنان وغيرها، بل لم تتورع من دعم الانقلاب على الرئيس محمد مرسي، ولم تتورع من ضرب الثورة السورية، وها هي إيران وحزب الله يقتلان الشعب الفلسطيني في سوريا وهما يرفعان شعارات تحرير فلسطين ونصرة المستضعفين، ثم نجدهما أجرما بحق الفلسطينيين في العراق وسوريا بأبشع مما فعلت إسرائيل.

إن بقاء هذه النخب المغفلة والساذجة تمارس هذا الدور الخبيث في تمرير المخططات الإيرانية أو التبرير لها أو تعطيل جهود فضح عدوانها، لهو من أكبر أسباب تمادي إيران في غيّها وعدوانها، وهو ما قد يمتد للشارع العربي والإسلامي الذي نبذ إيران ووكلاءها بسبب فضائحهم في سوريا وطائفيتهم في العراق وما تبثه قنواتهم وفضائياتهم من اعتداء على المقدسات الإسلامية والأحكام الشرعية.

ولكن جهود هؤلاء المغفلين مع سياسات الإعلام الرسمي العلماني المرتكز على تلهية الجماهير بالشهوات وتخديره بالراقصات والفنانين، بحجة محاربة التطرف والإرهاب، ستكون نتائجها كارثية على الدول العربية.

إذ في الوقت الذي يقوم فيه الإعلام الإيراني بتبني خطاب تحريضي عاطفي حماسي مخادع، يجذب المخلصين المغفلين، ليصنع منهم جواسيس وعملاء وخدما له، يقوم الإعلام الرسمي بتفريغ الساحة أمامه بصناعة جيل تافه لا قيم له ولا أخلاق، جيل تائه لا قضية له ولا فكر يحمله، ويكمل الدائرة النخب المغفلة التي تستجلب الذئب لبيتها وتظنه الحارس لها والحامي.

وطالما بقيت هذه الدائرة السيئة قائمة فلا تتوقع أن تجد وحدة وطنية، أو نهضة اقتصادية، أو جيلا صاعدا، أو تقدما في نصرة الأقصى، أو قوة تتراكم، بل ستجد صراعات محلية وفوضى دائمة، وجيلا تائها، واقتصادا منهارا، وتمددا إسرائيليا، وضعفا وتفتتا متواصلا.



مجمع التقريب بين المذاهب... الشيطان يكمن في التفاصيل

معتز بالله محمد(*) - خاص بالراصد

تأسس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية عام ١٩٩٠م على يد علي خامنئي مرشد الثورة الإيرانية، وكان هدفه المعلن محاولة التوفيق بين المذاهب الإسلامية وتعزيز نقاط التلاقي، ونبذ الفرقة، لكن ثمة اتهامات للمجمع باستخدام هذه الورقة غطاءً لنشر المشروع الشيعي في المنطقة.

يترأس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ومقره طهران، آية الله محمد علي تسخيري، وهو المستشار الأعلى لقائد الثورة الإسلامية في شؤون العالم الإسلامي والذي كان أيضا حتى وقت قريب نائبا لرئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وقد تناوب على هذا المنصب مع محمد واعظ زاده الخراساني، الذي كان أول أمين للمجمع بتعيين مباشر سنة ١٩٩٠م من علي خامنئي.

نشاطات

ينشط المجمع في إقامة مؤتمرات ونشاطات للتقريب بين المذاهب، لكن نشاطاته في العديد من الدول العربية تقلصت خلال السنوات الأخيرة في ظل المتغيرات الإقليمية التي كشفت طبيعة الدور الإيراني في كل ما يتعلق بزرع الفتن ورعاية الاضطرابات ونشر الطائفية، بداية من العراق مرورا باليمن والبحرين فسوريا، الأمر الذي حدا بعدد كبير من دعاة التقريب السنة إلى التراجع بعد استشعار خطر الدعوة الشيعية، على رأس هؤلاء الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي الذي صُنف في السابق كأحد رموز دعاة التقريب في هذا العصر.

ومنذ تأسيس المجمع حاول استغلال موسم الحج لإقامة ندوة في مكة المكرمة في الفترة ما بين الخامس والسادس من ذي الحجة كل عام تحت مسمى (الندوة العالمية للتقريب) لمناقشة بعض

(*) كاتب مصري.

المسائل العالمية المطروحة على الساحة الإسلامية، وبحضور عدد من حجاج بيت الله الحرام على اختلاف مذاهبهم وجنسياتهم. وأقام المجمع أيضا ندوات ومؤتمرات التقريب والوحدة الإسلامية في أكثر من ٢٦ دولة حتى الآن في قارات آسيا وإفريقيا وأوربا.

كذلك من بين نشاطات المجمع عقد المؤتمر الدولي للوحدة الإسلامية في الفترة ما بين الثاني عشر حتى السابع عشر من ربيع الأول في العاصمة الإيرانية طهران، وقد نظم حتى الآن ٢٧ مؤتمرا.

الشياطين تعظ

المؤتمر الأخير الذي عقد في يناير الماضي كانت من بين أهدافه المعلنة التعاضد بين المسلمين ونبذ الفرقة والخلافات ومحاربة أعداء الإسلام الذين يسعون إلى إيجاد الفرقة والنزاع وتعميقهما بين أبناء الأمة الإسلامية والتصدي للتكفيريين ومحاولاتهم تشويه صورة الإسلام السمحة.

لكن كما يقولون: الشيطان يكمن في التفاصيل، فبتحليل ما جرى في المؤتمر يتضح إلى أي مدى تستغل إيران شعارات الوحدة والتقريب لأهداف سياسية واضحة تتفق مع النهج الطائفي والمشروع الشيعي.

فعلى سبيل المثال جعل الرئيس الإيراني حسن روحاني كلمته التي ألقاها خلال افتتاح المؤتمر رسالة تهديد إلى الدول الداعمة للمعارضة السورية المسلحة، مشددا على بقاء نظام الأسد، مضيفا: «إذا ظنت أي دولة أنها قادرة عبر دعم الإرهاب والتطرف على إسقاط حكومة في المنطقة فهي مخطئة ١٠٠٪ وسيرتدان عليها».

كذلك فمن العجب مشاركة شخصية مثل إبراهيم الجعفري الرئيس الأسبق للحكومة العراقية (٧ أبريل ٢٠٠٥ - ٢٠ مايو ٢٠٠٦) في المؤتمر ودعوته إلى الوحدة والتقريب بين السنة والشيعة وهو المتهم بارتكاب جرائم طائفية ضد العرب السنة ودعم ميليشيات القتل على الهوية، وتحويل العراق إلى سلخانة، وهو ما يعرفه العراقيون أكثر من غيرهم.

الأدهى أن ممثل العرب السنة في هذا المؤتمر كان المفتي السوري بدر الدين حسون، الذي يعرف كلُّ سوري أنه يعد من أبرز الشخصيات التي بررت قتل نظام الأسد لأكثر من ٢٥٠ ألف شهيد، وذبح الأطفال والنساء، ودافع عن ممارسات النظام وهي تنتهك حرمات المساجد.

أليست إذن مشاركة أمثال الجعفري وحسون وغيرهم ممن سفكوا دماء أهل السنة بشكل مباشر أو عبر التحريض دليلا على الهوة العميقة بين شعارات مجمع التقريب وبين الواقع على الأرض، وعبثية المشهد الذي تسوّقه إيران كراعية للوحدة الإسلامية؟

وحتى يكتمل المشهد يدعو المجمع العلماء والمفكرين سواء الذين مازالوا يرون إمكانية تحقيق الوحدة الإسلامية بين السنة والشيعة رغم كل ما يحدث أو أولئك المحسوبين على طهران والمستفيدين من عطاياها من صحفيين ومثقفين عرب، حيث شهد المؤتمر الـ ٢٧ حضور علماء ومفكرين من خمسين دولة بما في ذلك قطر والسعودية واليمن ومصر ولبنان والعراق والجزائر وماليزيا وروسيا واليونان وتايلاند وبريطانيا وأمريكا واستراليا وأوغندا وهولندا.

فساد من الرأس

الخطير أن المشاركين في مؤتمرات المجمع ليسوا وحدهم من تدور حولهم الشبهات فيما يتعلق بالتحريض على قتل السنة، حيث أن من يقفون على رأس المجمع نفسه أبعد ما يكونون عن فكرة التقريب.

فرئيس المجمع العالمي للتقريب آية الله علي

تسخيري، يتبنى الأجندة الإيرانية الخاصة بنشر التشيع في الدول السنية وهو ما يتم تحت غطاء التقريب، وبالتنسيق مع عدد من المؤسسات الإيرانية مثل المجمع العالمي لاهل البيت. ويستميت التسخيري الذي يمارس التقية ببراعة في الدفاع عن إيران وتبرئتها من تهمة نشر الفتن في العراق ولبنان وسوريا وغيرها من بلاد المسلمين.

لكن مؤتمر حوار المذاهب الإسلامية الذي عقد في قطر في يناير ٢٠٠٧ أسقط ورقة التوت بشكل كبير عن تسخيري، عندما حدثه الشيخ يوسف القرضاوي طالبا منه جعل التقارب حقيقة لا كلاما، وتخلي الشيعة عن الممارسات التي تستفز أهل السنة كسبّ الصحابة، وضرورة أن يتبرأ الشيعة من الطائفية في العراق بكل ما أفرزته من قتل وتهجير وتعذيب، يتم برعاية إيرانية.

وكان من البديهي أن يعترف تسخيري بالأخطاء الإيرانية ويطرح رؤيته في تصويبها، كطريق فاعل لتضييق الهوة وصولا إلى التقريب الحقيقي، لكن هذا لم يحدث بالمرة، حيث آثر الابتعاد عن الحقيقة والتغطية على جرائم إيران، متهما الاحتلال الأمريكي وإسرائيل بالمسؤولية عن تأجيج الطائفية في العراق.

تسخيري وخلال المؤتمر نفسه وقع في تناقض لافت في معرض ردّه على الدعوات المطالبة بإزالة مقام المجوسي أبي لؤلؤة فيروز في كاشان والذي يسمونه بابا شجاع الدين، قاتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أنكر في البداية أنه رأى هذا المقام، ثم عاد وأكّد أن قبر أبي لؤلؤة «ليس مبنى فخماً أو مهما، بالدرجة التي يروج لها، بل هو مزار سخيف لرجل قاتل».

وجه آخر للتناقض البيّن هو آية الله الشيخ محسن الآراكي أمين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وهو مؤسس المركز الإسلامي في إنجلترا، شغل في السابق عضوية مجلس خبراء القيادة في إيران.

ويدافع الآراكي هو الآخر عن سياسة إيران وجرائمها التوسعية بالمنطقة، وفيما لا يكفّ عن الدعوة للتقريب ورأب الصدع بين المسلمين، نراه يدعو لـ «الجهاد» في البحرين حتى الإطاحة بالنظام، ومن أقواله لشيعة البحرين: «ثقوا إخوتي وأخواتي بالنصر، واثبتوا في درب الجهاد والمقاومة والصمود؛ فإنّ نصر الله قريب، واعلموا أنّ كلّ كلمة أو موقف يؤدّي إلى تثبيط عزيمة المجاهدين، وتخويفهم من عواقب الجهاد والصمود، فإنّما هو من نفثات الشيطان، لابدّ أن يضرب به عرض الجدار، وأنّ مواصلة درب الجهاد حتّى تحقيق النصر الكامل هو الواجب الإلهيّ الذي لا ينبغي أن يَشكّ فيه مؤمن يثق بكتاب الله ووعوده، ويؤمن بأوامره ونواهيه».

وفي أواخر العام الماضي تعرض الآراكي لهجوم واسع من الكويتيين بعد أن اتهم بلادهم في حديث لصحيفة «الراي» الكويتية بأنها أصبحت مصدرا «لتربية إرهابيين وساحة لدعاة قطع الرؤوس».

وقد رد عليه أمين عام تجمع ثوابت الأمة النائب السابق محمد هايف بالقول «إن على من يؤيد التقريب بين المذاهب أن يلقي نظرة على سورية، ويتفحص التدمير والقصف الذي يطول منازل الأبرياء العزل».

وأضاف هايف: «لو أراد الأراكي التقريب بين المذاهب فإن عليه إعلان معاناة أهل الأحواز الذين يتعرضون يوميا إلى الاضطهاد، رغم أن الكثيرين منهم شيعة، لكن النظام الإيراني يحارب العرب ويريد طمس الهوية العربية من الأحواز المحتلة، لدرجة أنهم منعوا الأحوازيين من تسمية مواليدهم بأسماء الصحابة».

كتب وأهداف

يمكن القول إن الكتب التي أصدرها مجمع التقريب تأتي متسقة تماما مع الأجندة الإيرانية في

نشر التشيع، لذلك فإنها تشكل خطرا كبيرا طالب الكثير من المفكرين بضرورة التصدي له.

لو دققنا في قائمة منشورات المجمع العالمي للتقريب الذي تناوب على رئاسته الخراساني ومن بعده التسخيري لوجدنا أنها على قسمين: قسم بالفارسية وقسم بالعربية وهو الأكثر، وهو ما يهمنا، ولو تفحصنا محتويات كل قائمة لأمكننا أن نقسمها التقسيمات التالية:

تُصنف الكتب التي طبعها المجمع إلى قسمين أحدهما بالفارسية والآخر بالعربية، ويمكن تصنيف كل قسم إلى كتب سنية بعضها تراثية بتحقيق شيعي بهدف تعزيز فكرة أن السنة أنفسهم يؤمنون بالمفاهيم الشيعية، وكتب شيعية تروج للمذهب الشيعي.

ومن أشهر الكتب السنية التراثية كتاب «فضائل أهل البيت عليهم السلام» من كتاب فضائل الصحابة. تأليف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١هـ). التحقيق: محمد كاظم المحمودي.

حاول المقدم في تحقيقه التقليل من شأن الصحابة ومكانتهم لدى رسول الله ﷺ إذ يقول لدى المقارنة بين الصحابة وأهل البيت في القرآن والسنّة إن لفظة الصحابة قد وردت في القرآن في آيات عديدة، «لا يستفاد منها إلاّ المقارنة والصحبة الظاهريّة»، مستدلا على ذلك بآيات مثل ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الكهف].

كذلك سرد المحقق أحاديث من صحيح البخاري في محاولة للوصول إلى نفس الهدف إذ يقول: «أمّا السنّة النبويّة فهي لا تتخلّف عن القرآن ولا تختلف معه، وقد ورد فيها مثل هذا الشيء الكثير، ونحن نكتفي هنا بذكر بعض نماذجه من صحيح البخاري في كتاب الرقاق (٨١) باب في الحوض (٥٣) الحديث (٥٦٧٦): حدثني عمرو بن علي، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن المغيرة قال: سمعت أبا وائل، عن عبدالله (رضي الله عنه)، عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «أنا فرطكم على الحوض، وليُرفعنّ رجالٌ منكم، ثمّ ليُختلجُنَّ دوني، فأقول: يا ربّ أصحابي؟ فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وورد الكتاب في خمسة أقسام أولها أخبار أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ وزهده، ثم نسب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ ففضائله، ثم فضائل فاطمة بنت رسول الله ﷺ وفضائل الحسن والحسين عليهما السلام. وتضمن الكتاب أيضا (٤٥٧) حديثاً في فضائل أهل البيت عليهم السلام.

ومن هذه الكتب السنية ذات التحقيق الشيعي أيضا كتاب «أبو الشهداء الحسين بن علي عليه السلام»، لمؤلفه عباس محمود العقاد. وكذلك كتاب «تفسير القرآن الكريم» لمؤلفه الشيخ محمود شلتوت، ومقدمه محمد واعظ زاده الخراساني.

أما النوع الثاني من الكتب فهو كتب شيعية، وهي الأخطر إذ أنها تأتي لترويج الفكر الشيعي وتجسيد مفهوم تصدير الثورة الخمينية، مثل كتاب «حياة الإمام البروجردي، وآثاره العلمية ومنهجه في الفقه والأصول والرجال» لمؤلفه محمد واعظ زاده الخراساني، أول رئيس لمجمع التقريب، وكتاب «خلاصة التفاسير الإسلامية المشهورة» الجزء الأول. تأليف: محمد باقر الناصري. مركز البحوث والدراسات العلمية التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية - قم. وكتاب (فقه الوفاق) وهو دراسة فقهية مقارنة بين المذاهب الإسلامية لمؤلفه الشيخ محمد مهدي نجف.

ويصدر عن المجمع عدة مجلات مثل «مجلة التقريب» التي أصدرت أكثر من ٧٠ عددا و«مجلة التقريب نت» و«رسالة الإسلام» ولها أكثر من ٦٥ عددا. كما يضم على موقعه الإلكتروني مكتبة مرئية وأخرى صوتية للمحاضرات ذات الصلة.

الوجه الآخر
٧- محمد باقر الصدر

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة إلتبست حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها وفكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

ارتبط اسم محمد باقر الصدر لدى القارئ السُّني بكتابيه الشهيرين: «فلسفتنا» و«اقتصادنا»، اللذين ألفهما في مطلع شبابه، ورأى فيهما الكثيرون دفاعا عن الإسلام ونظامه السياسي والاقتصادي، وتفنيدا للمذاهب والأفكار المنحرفة، وعلى وجه الخصوص الشيوعية والماركسية، ورأوا في الصدر مفكرا إسلاميا جادا وملتزما، منافحا عن الإسلام ومبتعدا عن الطائفية.

لكن الصورة السابقة ليست كل الصورة، إذ أن ثمة الكثير مما يمكن قوله في مسيرة الصدر، والمراحل الفكرية المختلفة التي مرّ بها، وآرائه المتطرفة، خاصة ما يتعلق منها بمهدي الشيعة المنتظر والإمامة وولاية الفقيه والصحابة وحادثة فدك، وهو ما نحاول تناوله في هذه الحلقة من هذه السلسلة.

أولا: حياته ونشأته

وُلد المرجع الشيعي العراقي محمد باقر الصدر في مدينة الكاظمية، قرب بغداد، في سنة ١٣٥٣هـ، (١٩٣٥م)، وتوجّه منذ صغره لدراسة العلوم الدينية، لا سيما وأنه ينحدر من أسرة الصدر، التي تبوأ عدد من أفرادها مكانة بارزة في هذا المجال (ومنهم والده حيدر، وجده إسماعيل الصدر)، إضافة إلى أن أسرة والدته (آل ياسين) برزت، هي الأخرى، في المجال الديني.

وعندما بلغ محمد باقر الثانية عشرة من عمره تقريبا توجه إلى النجف للدراسة في حوزتها، وهناك تتلمذ، على وجه الخصوص، على يد خاله محمد رضا آل ياسين وأبي القاسم الخوئي. ومِمّن زاملهم الصدر في تلك الفترة: اللبناني محمد حسين فضل الله، الذي سيصبح فيما بعد أحد مراجع الشيعة البارزين.

ثانيا: المراحل الفكرية التي مرّ بها

يمكن القول بأن محمد باقر الصدر مرّ خلال حياته بمرحلتين فكريتين مختلفتين:

(*) كاتب أردني.

المرحلة الأولى:

تلك التي كان الصدر فيها يدافع فيها عن النظام السياسي والاقتصادي للإسلام، ويحارب الأفكار الفاسدة كالشيوعية والرأسمالية، حيث نشر الصدر في تلك الفترة كتابيه الشهيرين «فلسفتنا» و«اقتصادنا» في عامي ١٩٥٩ و ١٩٦١[١]، بحيث كان الصدر في تلك الفترة يكتب عن الإسلام ويفكر فيه أكثر من تفكيره ونصرته لمذهبه الشيعي (رغم أن بعض كتاباته الطائفية صدرت في تلك المرحلة).

وتميز الصدر في تلك الفترة بانفتاحه على الفكر السني، خاصة فيما يتعلق بموضوع الشورى، ففي نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، أسس الصدر (مع مجموعة منهم: عبد الصاحب دخيل ومحمد هادي السبيتي ومحمد مهدي الحكيم وطالب الرفاعي) حزب الدعوة الإسلامية، الذي يوصف بأنه أول حزب إسلامي شيعي ثوري[٢]، حيث اختلف حزب الدعوة عن الأحزاب السياسية الشيعية السابقة في التخطيط لاستلام السلطة، وليس العمل من أجل حقوق الطائفة الشيعية أو بعض الأمور الإصلاحية[٣].

كان الفكر الشيعي حول السلطة والحكم والدولة في ذلك الوقت يتمحور حول نظرية «الانتظار» التي يؤمن أصحابها بوجوب انتظار الإمام المهدي المنتظر، ويرون حرمة قيام أي دولة للشيعة في عصر الغيبة، وكانت حوزة النجف - إجمالا - مؤيدة للانتظار.

(١) جمال سنكري، مسيرة قائد شيعي (السيد محمد حسين فضل الله)، دار الساقي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص ١٣٥، وإسحاق نقاش، شيعة العراق، دار المدى، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م، ص ٢٤٢.

(٢) جمال سنكري، مصدر سابق، ص ٤١.

(٣) أحمد الكاتب، الشيرازي: المرجعية في مواجهة تحديات التطور، منشورات الزمان، لندن، الطبعة الأولى، أيار/ مايو، ٢٠٠٢م، ص٤٥.

من جانب آخر، لم تكن نظرية «ولاية الفقيه» التي انتقدت تقاعس فقهاء الشيعة عن تأسيس الحكومات وقيادتها، والاكتفاء بانتظار المهدي، قد تبلورت بشكلها النهائي بعد، فالمرجع الشيعي الإيراني روح الله الخميني الذي يُعتبر أبرز الداعين إلى ولاية الفقيه، والذي جسدها عمليا بقيادته للثورة الإيرانية ضد نظام الشاه، وتولّيه منصب المرشد أو الولي الفقيه بعد نجاح الثورة وتأسيس الجمهورية في سنة ١٩٧٩م، بدأ يطور نظريته حول ولاية الفقيه بعد تسفيره من إيران إلى العراق في سنة ١٩٦٣م، بعد أن قاد انتفاضة ضد نظام الشاه[٤].

وإزاء ذلك، وجد محمد باقر الصدر وأصحابه أن الفكر الشيعي عموما لا يلبي طموحهم بإنشاء حزب يستلم السلطة ويؤسس دولة، فقد كان ملاحَظا انضمام الشيعة لبعض الأحزاب والجماعات السنية كجماعة الإخوان المسلمين وحزب التحرير، وكان هؤلاء الشيعة يعتمدون في الأمور السياسية والحركية والفكرية اعتمادا شبه كامل على كتابات وآراء المفكرين الإسلاميين من أهل السنة مثل حسن البنا وسيد قطب وأبي الأعلى المودودي وتقي الدين النبهاني، «وكانت الكتابات الفكرية للشيخ البنا وسيد قطب، خصوصاً، هي التي قدمت المصدر الأكبر للعقيدة والمناقشة عند الإسلاميين من الشيعة. وكانت أفكارهما هي التي شاركت مشاركة فعالة في تكوين نظرتهم إلى الحياة والعالم من حولهم، وهي النظرة التي قام بتهذيبها السيد باقر الصدر والسيد فضل الله وغيرهما في ما بعد»[٥].

تأسس حزب الدعوة على مبدأ الشورى والانتخابات،

(٤) أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، عمّان، ١٩٩٧م، ص ٤١٥.

(٥) جمال سنكري، مصدر سابق، ص ٨٨.

وقد لعب الصدرُ دورا كبيرا في تأصيل هذه النظرية في داخل الحزب، حين وضع الأسس الفكرية والخطوط العامة، فقد جاء في (الأساس السادس) أن شكل الحكم في الإسلام في عصر الغيبة يقوم على قاعدة الشورى لقوله تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى: ٣٨] حيث لا يوجد نص من قِبل الله ورسوله، وأن الشورى في عصر الغيبة شكل جائز من الحكم...»[١].

وبسبب أفكاره تلك، لقي الصدر معارضة شديدة من علماء الشيعة، واتهمه بعضهم بأنه أصبح سنيا، وبالوهابية، على اعتبار أن الشورى نظرية سنية في مقابل نظرية النص الشيعية الإمامية[٢].

وكان الصدر قد كتب رسالة حول آية الشورى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴿٣٨﴾﴾، ودلالتها على الحكم الإسلامي ووجّهها إلى شيوخه ومراجع الحوزة الكبار مثل الخوئي وحسين الحلي وخاله مرتضى آل ياسين، لكنهم جميعا أنكروا دلالة الآية على الحكم الإسلامي، ما ولّد لدى الصدر أزمة فكرية تحدث عنها في رسالة وجهها إلى تلميذه محمد باقر الحكيم في سنة ١٩٦٠م، قائلا إنه يتوسل إلى الله أن يعرّفه على حقيقة الموضوع، ويوفقه إلى حل الإشكال المتعلق بدلالة آية الشورى، ولذلك فإن حالته النفسية لأجل هذا مضطربة وقلقة غاية القلق[٣].

المرحلة الثانية:

ويبدو أن باقر الصدر فضّل ألا يسبح عكس تيار الشيعة، وألا يخالف بني قومه ومراجعَه، إذ أن رفض مراجع الشيعة لأفكاره المتعلقة بشكل الحكم جعله لا يذهب بعيدا في موضوع الشورى والفكر السني، لتبدأ في حياته مرحلة فكرية جديدة، انحاز فيها للتشيع والطائفة.

ولأن المبرر الذي قام عليه حزب الدعوة، وهو تأسيس الدولة الإسلامية، لم يعد موجودا، فقد انسحب الصدر من الحزب الذي ساهم في تأسيسه وصاغ مبادئه وأفكاره، حيث يقول محمد باقر الحكيم: «إن السبب في خروجي وخروج الصدر من الحزب كان هو الإشكال الشرعي»[٤].

وفيما يلي بيان لبعض الأفكار والعقائد التي تبناها الصدر في تلك المرحلة، مع التأكيد على أن بعضها تبناها في فترات سابقة، إذ أن بعض مؤلفاته كتبها في طفولته وشبابه:

١- موقفه من الصحابة:

يطعن الصدر في صحابة النبي ﷺ، ويصورهم بأبشع الصفات، وخاصة الصديق رضي الله عنه، ففي كتابه (فدك في التاريخ) يزعم الصدر أن أبا بكر انتزع من آل البيت أموالهم المهمة ليركز بذلك حكومته، وأنه كان يخشى من أن ينفق عليٌّ رضي الله عنه من حاصلات أرض فدك أو غير فدك في الدعوة لنفسه، زاعما أيضا أن الصديق اتخذ المال وسيلة للإغراء وكسب الأصوات[٥].

ويَعتبر الصدر أن خلافة أبي بكر غير شرعية، ويصفها بأنها «خلافة لم تباركها السماء، ولا رضي بها المسلمون»[٦]، كما يعتبر أن الخير والعدل والحق الذي كان عليه الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان إنما أُضطروا إليه خشيةً من

---

(١) أحمد الكاتب، الشيرازي، ص ٤٥.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٦.
(٤) المصدر السابق نفسه. لكن هناك من يرى بأن انسحاب الصدر من الحزب كان بسبب تطلعه إلى المرجعية، إذ تقضي الأعراف الشيعية أن على من يطمح إلى الوصول إلى المرجعية الابتعاد عن القضايا السياسية، وتجنب الانتساب إلى منظمة أو حزب (سنكري، ص ١٤٩).
(٥) د. طه الدليمي، العلوي وكتابُه عمر والتشيع، عمّان، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ص ١٠٤.
(٦) المصدر السابق، ص ١٠٤ – ١٠٥.

الـرأي العـام المتمـسك بالإسـلام وتعـاليم الـنبي ﷺ، والذي يمثله عليّ[1].

٢- عقيدته في المهدي المنتظر:

يتبنـى الـصدر عقيـدةَ الـشيعة في إمـامهم الثـاني عـشر، المهـدي المنتظـر، ويـدافع عـن الروايـات الـتي تتحـدث عـن خروجـه، وقتلـه لمخالفيـه، وإبادتـه للعـرب، وغـير ذلـك مـن الطامـات، ففـي كتابـه «تـاريخ مـا بعـد الظهـور» الـذي خصـصه لرسـم الـصورة الـتي يكـون عليهـا المهـدي المزعـوم، وكيـف سيـستولى علـى العـالم، ويقـيم (الدولـة الإلهيـة العادلـة)، يقـول: «إن المهـدي سـوف يـضع الـسيف في كـل المنحـرفين الفاشــلين في التمحــيص ضــمن التخــطط الــسابق للظهـور فيـستأصلهم جميعـاً»[2]. ومعنـى قولـه الفاشـلين في التمحـيص: أي الـذين لم يكونـوا علـى عقيـدة المهدي قبل ظهوره.

ويقـرر الـصدر عـدداً مـن الروايـات الـشيعية في هـذا الـصدد مفادهـا: أن المهـدي هـذا يبيـد العـرب جميعـاً، ويحـل دمـاء سـبعين قبيلـة مـنهم، ويبـدأ بقـريش فيقتلـهم، ويخـص بـني شـيبة فيقطـع أيـديهم، ويعلقهـا علـى الكعبـة، ولا يعطـي العـرب إلا الـسيف، ولا يـستتيب أحـداً، وأنـه يقـدم للمـوت مـن قـريش خمـسمائة فخمـسمائة، وأنـه لا يـزال يفعـل بـذلك فـيهم حتـى يـأتي علـى آخـرهم، وأنـه لا يـسير بهـدي الرسـول مـع المخـالفين، وبـسنة علـي بـن أبـي طالـب معهـم؛ لأنهما سارا باللين والمسايسة[3].

وأمـا هـو فمـأمور بالقتـل والإبـادة، وأنـه يـذبحهم كمـا يـذبح الجـزار شـاته، وأن كـل مـن كـان قبـل ظهـور المهـدي مـن المكـذبين أو الـشاكين فيـه، سـيقتله المهـدي، ولا يـستتيبه، ولا يقبـل عـذره، وأنـه لا يـسير مـع المهـدي، ولا يكـون مـن أنـصاره إلا مـن يباشـر القتـل معـه، وتحـت قيادتـه وأن هـؤلاء سـيعطي كـلاً مـنهم قـوة أربعـين رجـلاً، وأنهـم لا يكفـون سيوفهم حتى يرضى الله[4].

ويقـول محمـد الـصدر نـصاً: «سـيكون هـذا الاجتثـاث أو القتـل هـو أول خطـوة رئيـسية في التطبيـق العـادل الـذي يهـدف إليـه التخطـيط الإلهـي لمـا بعـد الظهور»[5].

ويقـول أيـضاً: «إن سياسـة القتـل هـذه ليست لمجـرد الانتـصار العـسكري، بـل هـي أسـاس التطبيـق العـادل، وإقامـة دولـة الحـق؛ ولأجـل ذلـك فـإن المهـدي سـيقتل النـاس، وإن لم يقـاتلوا ويرسـل إلى الرجـل المنعزل في بيته فيقتله»[6].

٣- عقيدته في الإمامة:

يـرى الـصدر – كبقيـة الـشيعة- أن الـنبي ﷺ نـصّب عليًّـا إمامـا مـن بعـده، ويعتـبر أن تـرك الأمـر بـلا وصيـة «سـلبية لا يمكـن افتراضـها في الـنبي»[7]. كمـا اعتبر الإمامة امتدادا للنبوة[8].

٤- موقفه من إيران وولاية الفقيه

وجـد الـصدر ضـالته في الثـورة الإيرانيـة، فأخـذ يكيـل المـديح لهـا ولقائـدها الخمـيني، فبعـد نجـاح الثـورة في سـنة ١٩٧٩م، كتـب الـصدر إلى الخمـيني رسـالة يقـول لـه فيهـا: «نتطلـع بـشوق إلى مزيـد مـن

(١) المصدر السابق، ص ١٠٥.
(٢) منذر بن عبدالله الشريف، المخطط الإجرامي لإبادة أمة الإسلام، ص ٣١، نسخة إلكترونية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٢.
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) المصدر السابق نفسه.
(٧) رشيد الخيون، الأديان والمذاهب بالعراق، منشورات الجمل، ألمانيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص ٢٣١.
(٨) أحمد الكاتب، الشيرازي، ص ٤٨.

الانتصارات الحاسمة، ونضع كل إمكانياتنا بخدمة كيانكم العظيم»[1].

وتبنى الصدر ولاية الفقيه على النحو الذي تبناه الخميني، فبعد انسحابه من حزب الدعوة[2]، عدل عن الشورى لصالح ولاية الفقيه، وتعززت الفكرة لديه بعد نجاح ثورة الخميني، علماً بأن الصدر كان يرفض، في مرحلة مبكرة من عمره، فكرة الانتظار للمهدي المنتظر، ويدافع عن شرعية قيام السلطة في عصر الغيبة.

وهو كان يقول: «إن المرجع الشهيد معيّن من قبل الله تعالى بالصفات والخصائص، ومِن قِبل بالأمة بالشخص، وإنه يمثل خط الخلافة الذي كان يمارسه الشهيد المعصوم»[3] ... وبناء على هذا صاغ الصدر دستور الجمهورية الإيرانية الذي أكد فيه على «أن المرجعية امتداد للإمامة كما كانت هي -بدورها- امتداد للنبوة، وأنها تقوم على مبدأ النيابة العامة للمجتهد المطلق العادل الكفؤ عن الإمام، وفقاً لقول إمام العصر عليه السلام: (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله) فإن هذا النّص يدل على أنهم المرجع في كل الحوادث الواقعة،..»[4].

(١) جمال سنكري، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

(٢) ثمة من يرى أن انسحاب الصدر من الحزب وإصداره فتوى بحرمة الانضمام إليه كان بسبب التضييق الأمني الذي مارسه عليه النظام البعثي في العراق، إضافة إلى تبنيه لفكرة (المرجعية الصالحة) التي تشترط استقلال طلاب العلوم الدينية عن الدائرة الحزبية (أحمد الكاتب، الشيرازي، مرجع سابق، ص ٤٧، وجمال سنكري، مرجع سابق، ص ١٤٩، و ص ٢٦٨).

(٣) أحمد الكاتب، الشيرازي، مرجع سابق، ص ٤٨.

(٤) المصدر السابق نفسه.

ابن عباس يحاور الخوارج

د. عمر الأشقر رحمه الله(❖)[5] – خاص بـ «الراصد»

أثناء الحرب التي دارت بين علي ومعاوية، خرج فريق كفر علياً ومعاوية وجاؤوا بأمور لم تكن معروفة من قبل، وذهب ابن عباس إليهم ليوضح الحق، ويكشف الشبهة. قال ابن عباس: دخلتُ عليهم وهم قائلون، فإذا هم مسهمة وجوههم من السهر، قد أثر السجود في جباههم، كأن أيديهم ثفن الإبل (ثفن الإبل: ما يقع على الأرض من الإبل كالركبتين)، عليهم قمص مرحضة (المرحضة: المغسولة)، فقالوا: ما جاء بك يا ابن عباس؟ وما هذه الحلّة التي عليك؟

قال: قلت: ما تعيبون من ذلك؟ فلقد رأيت رسول الله ﷺ وعليه أحسن ما يكون من الثياب اليمنية، قال: ثم قرأت هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ (٣٢)﴾ [الأعراف: ٣٢].

فقالوا: ما جاء بك؟

قال جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عمّ رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله، جئت لأبلغكم عنهم، وأبلغهم عنكم.

فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً، فإنّ الله يقول: (بل هم قوم خصمون) (سورة الزخرف: ٥٨).

فقال بعضهم: بلى فلنكلّمه، قال: فكلّمني منهم رجلان أو ثلاثة.

قال: قلت: ماذا نقمتم عليه؟

(❖) كاتب أردني.

(٥) من كتابه: جولة في رياض العلماء.

قالوا: ثلاثاً.

فقلت: ما هنّ؟

قالوا: حَكّم الرجال في أمر الله، وقال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۝٥٧﴾ [الأنعام: ٥٧].

قال: هذه واحدة، وماذا أيضاً؟

قالوا: فإنّه قاتل، فلم يسْب، ولم يغنم، فلئن كانوا مؤمنين ما حلّ قتالهم، ولئن كانوا كافرين، لقد حلّ قتالهم وسبيهم.

قال: قلت: وماذا أيضاً؟

قالوا: ومحا نفسه من إمرة المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين.

قال: قلت: أرأيتم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله بما ينقض قولكم هذا، أترجعون؟

قالوا: وما لنا لا نرجع!!

قال: قلت: أمّا قولكم: (حكّم الرجال في أمر الله) فإنّ الله قال في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ۝٩٥﴾ [المائدة: ٩٥]. وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ۝٣٥﴾ [النساء: ٣٥] فصيّر الله ذلك إلى حكم الرجال، فناشدتكم الله! أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين، وفي إصلاح ذات بينهم أفضل، أو في دم أرنب ثمنه ربع درهم؟ وفي بضع امرأة؟

قالوا: بلى، هذا أفضل.

قال: أخرجتم من هذه؟

قالوا: نعم.

قال: وأمّا قولكم: (قاتل ولم يسْب، ولم يغنم) أتسبْون أمّكم عائشة؟

فإن قلتم: نسبيها، فنستحلّ ما نستحلّ من غيرها، فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمّنا فقد كفرتم، فأنتم ترددون بين ضلالتين، أخرجتم من هذه؟

قالوا: بلى.

قال: وأمّا قولكم: (محا نفسه من إمرة المسلمين) فأنا آتيكم بمن ترضون، إنّ نبي الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو، قال رسول الله ﷺ: (اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله)، فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو: ما نعلم إنك رسول الله، ولو نعلم إنك رسول الله ما قاتلناك.

قال رسول الله ﷺ: (اللهم إنك تعلم أني رسولك، يا عليّ اكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو)[1].

لقد كان ابن عباس بحراً زخّاراً، كشف الشبهة ودحضها، وأتى بالأدلة البينة من الكتاب والسنة، ولقد أثمرت جهوده فرجع منهم عن باطلهم ألفان.

وما أحوج المسلمين اليوم إلى علماء أمثال ابن عباس، كي يقارعوا أهل الباطل، ويكشفوا عن شبهاتهم، ويوضحوا الطريق الحق، وفي الأمة بقية خير، والله غالب على أمره، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

---

(١) انظر الاعتصام للشاطبي ٢/١٨٧.

متشيعة الجزائر والجهر بالطائفية

بوزيدي يحيى(❖)- خاص بالراصد

لا يكاد يخبو موضوع التشيع في الجزائر حتى يطفو إلى السطح مرة أخرى ليتصدر المشهد، وتعود معه الكثير من الأسئلة حول الظاهرة من حيث الحجم والخطورة، والافتعال والحقيقة، وتورط طرف خارجي، وغيرها من الأسئلة، كان آخرها ما تداولته قبل فترة مختلف وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي من أشرطة مصورة لمتشيعين جزائريين وهم يؤدون طقوسهم الدينية، في سابقة هي الأولى من نوعها، إذ يُشاهد لأول مرة متشيعون جزائريون وهم يلطمون ويرددون أدعية شيعية اعتدنا على مشاهدتها في الفضائيات فقط[1].

ومن هول الصدمة بادر البعض لتكذيب وجود تلك الفيديوهات في الجزائر والظن أنها من دول الخليج. هذا الحدث المفاجئ والصادم للمجتمع الجزائري لا يمكن اعتباره سلوكا عفويا، ولا فرديا معزولا، أو أنه خالٍ من أي أهداف. فما الذي كان يهدف له متشيعة الجزائر من نشر مقاطع الفيديو تلك؟ وما الذي يمكن استخلاصه من مضمونها؟

السياق العام للحدث:

يجدر في البداية الإشارة إلى السياق العام الذي جاء فيه نشر تلك الفيديوهات، حيث سيمكننا ذلك من معرفة الأهداف التي كان يرمي إليها الطرف الذي وقف وراءها. فظهورها تزامن مع فترة شكل فيها موضوع التشيع حدثا شبه مستمر، بداية بالكشف عن اختراق متشيعين للوفد الجزائري الذي زار الرئيس السوري بشار الأسد، رغم عدم تصريحهم بذلك، ونفى المسؤولون عن الوفد علمهم بمعتقدات وخلفيات أعضائه، وأيضا مشاركة المتشيع الصادق سلايمية في برنامج «هنا الجزائر» على قناة الشروق وتصريحه بجزء من معتقداته في مناظرة مع الشيخ عبد الفتاح حمداش، وبالتالي يكون أول متشيع جزائري يبرز إلى الواجهة في وسائل الإعلام الوطنية كصوت شيعي وإن لم يدّعِ تمثيلهم.

وكانت نفس الفضائية عرضت أيضا برنامجا عن التشيع في مدينة وهران التي خرجت منها الفيديوهات، بعدما أقدمت وزارة الشؤون الدينية على تحويل إمام مسجد من أحد الأحياء الراقية المعروف بتواجد متشيعين كثر فيه، حيث شن

(❖) كاتب جزائري.

(١) كانت عناوين كل الجرائد التي تناولت الموضوع تشير إلى هذا المعنى، حيث تحدثت عن الخبر باعتباره كسرا لحاجز السرية والخروج العلني بكشف الطقوس، ومن الأمثلة على ذلك: شيعة الجزائر يكسرون حاجز السرية وينشرون أول فيديو عن طقوسهم في وهران/ في سابقة من نوعها شيعة الجزائر ينشرون «مقطع فيديو» عن طقوسهم بمدينة وهران/ شيعة الجزائر ينشرون لأول مرة مقطع فيديو عن طقوسهم بمدينة وهران/ بعد مدة من التستر: شيعة الجزائر ينشرون لأول مرة «مقطع فيديو» عن طقوسهم بوهران!/ بالفيديو.. شيعة الجزائر يكسرون حاجز السرية وينشرون فيديو وهم يمارسون طقوسهم/ شيعة الجزائر ينشرون طقوسهم لأول مرة والوزارة تتفرج/ شيعة الجزائر يخرجون إلى العلن بطقوس اللّطم.

الإمام حملة على هؤلاء بعدما أصبح نشاطهم أكثر علنية، ثم الوقفة التضامنية من طرف حزب الصحوة السلفية غير المرخص له، ودعوة زعيمه الشيخ عبد الفتاح حمداش وزارة الشؤون الدينية التي هونت من هذا الخطر بالتحرك لحماية المواطنين من سموم التشيع[١].

إضافة إلى هذا افتتاح شباب جزائريين صفحة على الفيسبوك تحت اسم «الفاضح لشيعة الجزائر»، وكما يظهر من الاسم فهي تهتم بفضح المتشيعين من خلال تتبع كل ما يقومون به سواء على أرض الواقع أو في مواقع التواصل الاجتماعي، وقد كانت هذه الصفحة هي السباقة إلى نشر تلك المقاطع ومن ثم تناقلتها وسائل الإعلام الأخرى[٢].

في سياق كل هذا وجد المتشيعون أنفسهم أمام حملة وإن كانت غير ممنهجة ولكنها جعلتهم في دائرة الضوء، فكان لابد حين إذٍ من رد فعل لإثبات النفس، وفي هذا الإطار جاءت خطوة نشر الفيديوهات.

خطوة انفعالية أم محسوبة؟

قد يعترض البعض عن هوية الطرف المسؤول عن نشر تلك الفيديوهات، فبعد التشكيك في أن المتشيعين جزائريون، الذي ثبت عدم صحته بفيديوهات أخرى، جاء الدور التالي بالقول بأنها سرقت منهم ولم يكونوا هم من نشرها، وإن كانت المعطيات المتوفرة لدينا حتى الآن تؤكد أن المتشيعين هم مصدر المقاطع فإنه بغضّ النظر عن هذه الجزئية فإن مضمونها يدلل على أمر مهم جدا، يتمثل في أن الطرف الذي كان يصور المقاطع متشيع ولم يكن يفعل ذلك خفية وإنما بشكل علني حيث يتجول بينهم، كما يظهر في أحدها وهو يتجاذب أطراف الحديث مع بعض الشباب الذين يتبادلون معه المزاح مع لا مبالاة البقية وعدم اكتراثهم لظهور صورهم، والنوافذ المفتوحة خلال أداء الطقوس وترديدهم لتلك الشعارات بصوت مرتفع، والذي لا شك ينتشر في المحيط القريب، - وإن كان البعض يقول بأن هذه الأماكن شبه معزولة حرصا لعدم لفت الانتباه- ولو كان المتشيعون يخافون ويتوجسون ويريدون سرية تامة لطقوسهم لما سمحوا بالتصوير من الأساس.

كما أن سياق الأحداث يؤكد أنها ردة فعل وليست عفوية بدليل أن المدينة التي أثير فيها اللغط حول التشيع (وهران) هي نفسها التي صُورت فيها الفيديوهات، واللافت هنا أن التسجيل لم يكن لاحقا للضجة التي أثيرت حول إمام المسجد وحملته على المتشيعين وإنما سبقها بأشهر، إذ تشير المقاطع إلى أنها تتعلق بمناسبة مقتل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والتي تتوافق مع السابع عشر من شهر رمضان، والفارق بين التصوير والنشر قرابة العشرة أشهر، والخطوة تأسيسا على هذا ليست انفعالية كرد فعل من مجموعة مراهقين (هذا لا ينفي أنها مراهقة دينية ككل) بل كانت محسوبة وعن سابق إصرار وترصد، ولا نبالغ بالقول بأنها كنت بتوجيه خارجي.

دور الطرف الخارجي:

لأهمية هذه الجزئية وخطورتها ارتأينا تناولها في محور مستقل، حتى نبين حجحنا في ما ذهبنا إليه. فمما هو محل اتفاق أن الثورة السورية كشفت عن إستراتيجية إيرانية متكاملة لتحقيق أهدافها، تعتمد أدوات عربية كان أبرزها حزب الله اللبناني والميليشيات الشيعية، وما أعلن عنه مؤخرا أحد قيادات الحرس الثوري الإيراني عن تأسيس خلايا شبيهة بحزب الله في سورية حلقة من بين تلك الحلقات.

هذه المقدمة رغم تعلقها بموضوع يبدو للوهلة الأولى أنه خارج نطاق هذه المقالة، هي في الواقع

---

(١) إمام مسجد: شيعة يروجون لمذهبهم بين شباب وهران بـ «زواج المتعة»، رأي اليوم، ٢٠١٤/٠٢/١٣، على الرابط:
http://www.raialyoum.com/?p=52373

(٢) رابط الصفحة على الفيسبوك:
https://www.facebook.com/pages/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%B6%D8%AD-%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1/631238186936969?fref=ts

ضرورية لفهم الخطوة التي أقدم عليها متشيعة الجزائر، حيث نرجح دور الطرف الخارجي في توجيه سلوك المتشيعين هذا، وقد سبق لنا التطرق لدلالات وجودهم في الوفد الجزائري الذي زار الأسد، والتي كان من بينها الحاجة لتسويق قبول عربي للنظام وما قام به المتشيعون هو خدمة بتوجيه لا يستبعد تورط السفارتين الإيرانية والسورية بشكل مباشر أو غير مباشر فيه[١].

وكما هو ثابت عند كل تجمع بشري سواء كان دينيا أو سياسيا أو غيرهما، وجود تراتبية هرمية في المسؤولية، وفي حالة الجماعات الدينية تكون القيادة أكثر أهمية، إذ لا يستطيع الأتباع والمريدون القيام بأي شيء دون توجيه من رمزهم الديني خاصة إذا كان الأمر يتعلق بمصير المجموعة الدينية كلها، وفي الحالة الشيعة هناك علاقة وطيدة بين المرجع والمقلد، حيث يخضع الأخير لتوجيهات المرجع، ويستحيل أن يصدر عنه أي سلوك دون ضوء أخضر منه، وحلقة الوصل بينهما هو وكيل المرجع الذي تتمثل مهمته في جباية الخمس من المقلدين ونقل أسئلتهم إلى المرجع والإجابة عنها.

فالشيعة يعيشون في أنحاء العالم كأقليات، وليست لهم القدرة على ممارسة نفوذ سياسي في تلك البلاد التي يقيمون فيها. بناءً على هذا يتوجهون نحو الأشخاص القريبين منهم، ومن ثم يستطيعون حل مشكلاتهم، وحتى لو كان هذا المقلد متبعاً للمرجعية الولائية الإيرانية، فإنه يجب عليه أن يرجع إلى ممثليها في الدولة، ومن المؤكد أن كثيرين يفضلون هذا الخيار، وتتميز لبنان بشكل أساسي بهذه السمة[٢].

وفي الكثير من الدول السنية التي ظهرت فيها آفة التشيع لا تخطئ العين رؤية علاقة هؤلاء بإيران، فعلى سبيل المثال للداعية الشيعي علي الكوراني، الذي يحظى بدعم كبار المرجعيات الدينية في النجف وقم، ارتباط وثيق بالمؤسستين الأمنية والعسكرية الإيرانيتين، والقريب جدًا من السلطة الممثلة في مكتب المرشد خامنئي، وهو من افتتح أول حسينية في مصر[٣]. كما كانت مجموعة القيادي الشيعي أحمد راسم النفيس وراء تأسيس حسينية شيعية في منطقة البحر الأحمر، في مدينة الغردقة بزعم أنها مزرعة وليست حسينية، بتمويل إيراني[٤].

والمتشيعون الجزائريون ليسوا استثناء من هذه القاعدة، وفعل التصوير الذي قاموا به بحد ذاته نابع عن توجيه، وكذلك قرار نشر تلك الفيديوهات. بناء على هذا لا نستبعد أن الفيديوهات ترسل إلى الخارج، وتحديدا إلى المرجعية، على الأقل من باب إثبات النشاط والحركية لها، ومن المرجح أن يكون المسؤول عن ذلك هو وكيل المرجع، وهو نفسه من أعطى الضوء الأخضر لنشر الفيديوهات بعد تشاور مع مرجعيته أو الجهة التي تملك زمام أمرهم سواء كانت سياسية أو دينية.

الطقوس والاغتراب الوجداني

تظهر المقاطع أن عدد المتشيعين كبير نسبيا، والراجح أن الحضور ليس من مدينة وهران لوحدها، وقد يكون من بينهم متشيعون من مدن مجاورة أيضا، كما أن الاجتماع لأداء الطقوس ليس بالجديد أو المعزول وإنما القوم اعتادوا على هذه التجمعات منذ سنوات، ومما يدلل على ذلك أنه سبق لطالب الماجستير إبراهيم بن زاوي من

(١) لتفاصيل أكثر أنظر: بوزيدي يحيى، دلالات وجود متشيعين جزائريين في وفد زيارة الأسد، مجلة الراصد، العدد ١٢٨، ٢٠١٣/١٢/٤، على الرابط:
http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6455

(٢) رسول جعفريان، المرجعية الشيعية - الوجه الآخر المرجعية الشيعية في إيران والعراق (الماضي والحاضر)، مركز التنوير للدراسات الإنسانية، على الرابط:
http://www.altanweer.net/articles.aspx?id=20036&page_id=0=&page_size=15&links=True

(٣) فراج إسماعيل، أول لطمية في بلد الأزهر، جريدة المصريون، ٢٠١٢/٠٥/٠٩، على الرابط:
http://almesryoon.com/permalink/7334.html

(٤) أول حسينية شيعية بتمويل إيراني بمصر، مفكرة الإسلام، ٢٠١٣/٠٤/٠٦، على الرابط:
http://islammemo.cc/akhbar/arab/2013/04/06/169320.html

معهد الإنتروبولوجيا بجامعة وهران أن تتناول الظاهرة بالبحث، وكانت مذكرته تحت عنوان: «رمزية المقدس في مخيال المتشيعة عاشوراء – بوهران– نموذجا».

والمذكرة تم إعدادها سنة ٢٠٠٥، وهذا يعني أن هناك عقدا كاملا تمارس فيه هذه الطقوس بشكل مستمر ودون انقطاع، بل رصدها ودراستها لا شك يكون مسبوقا بسنوات أخرى تبلورت فيها الظاهرة، وهو ما مكن من التجمع بهذا القدر الكبير نسبيا، كما أن المناسبة الأهم عند الشيعة هي عاشوراء، ما يعني أيضا أنهم وسعوا المناسبات منها إلى ليلة استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا شك أنهم يجتمعون في مناسبات أخرى على غرار مولد مهديهم أو إمامهم الثاني عشر وغير ذلك، والتناغم في التفاعل مع الرادود والتجاوب معه، يدل على خبرة بلغت حد التجانس، وكل هذا يؤشر إلى مستوى متقدم من الطمأنة وعدم التخوف والاستعداد للعلنية.

كما تؤشر الطقوس وهذا الأهم، إلى شكل من الانعزال المجتمعي والاغتراب الوجداني، فالتعبد داخل مجموعة مغلقة خارج منظومة الشعائر السائدة في المجتمع الجزائري، بل والمتناقضة معه، كما يعكسه الطقس الذي تصوره الفيديوهات. فالمناسبة تأتي في منتصف شهر رمضان، وهي تتعلق بمأساة كبيرة عندهم تتمثل في مقتل الإمام الأول والمجتمع لا يبالي بالحدث، وهذا في حد ذاته ظلم لهم، والأمر نفسه ينطبق على كل المناسبات الأخرى وخاصة منها عاشوراء التي تمثل لحظة الفراق الوجداني إذ يوم حزنهم هو يوم فرح في المجتمع حسب ادعائهم.

وما يثبت هذا الاغتراب هو تشكيك البعض في جزائرية تلك الفيديوهات والظن أو احتمال أنها في دولة خليجية، هذا الاحتمال الذي فند بالأدلة بعدما ظهر في أحد الفيديوهات مَن صرح عن تشيعه في البرنامج التلفزيوني على قناة الشروق، والذي تحدث عن عزمهم تنظيم الاحتفال بعاشوراء للصحفية وأعرب عن استعداده لاستضافتها، ثم وفى بوعده، وظهر في الفيديوهات وهو يوزع الطعام على الحاضرين في الاحتفال الديني.

هذا النفي والتشكيك هو بحد ذاته دليل إدانة للمتشيعين، حيث أثبت ذلك القدر الكبير من التشابه في الطقوس كما هو الحال في المجتمعات الشيعية، فلكْنة الرادود القريبة من أمثاله الذين يظهرون على القنوات الشيعية المشرقية ترجح أن يكون من الشباب الذين سافروا إلى قم وغيرها من الحوزات وتعلموا أداء تلك الطقوس، والمتشيعون يقلدون الطقوس بحذافيرها بما في ذلك تعصيب الرؤوس، واللافتات المكتوب عليها: لبيك يا حسين، واللطم والبكاء، وهذا يدلل أيضا على وجود قدر من التواصل شبه المنظم لتوزيع المهام. كما يبين حجم الاغتراب الذي يعيشونه.

وأخطر ما يترتب على هذا الاغتراب أن المتشيعين ينظرون لهذه الحملة الإعلامية ضدهم بأنها شكل من أشكال الظلم الذي عانى منه آل البيت وشيعتهم، وهذه هي مظلوميتهم في الجزائر، ولا شك أنهم في قابل الأيام وإذا ما كتب لهم الانتشار أو التمركز في منطقة ما فسيجعلون من هذا محور ما يلقنونه لأتباعهم، بل وسيعتبرون أنفسهم ضحايا التكفير والعنف الوهابي وغير ذلك مما يبدع فيه المتشيعون.

لكن من جانب آخر فإن الطقس ينفي محاولتهم الظهور بمظهر المثقف الواعي العقلاني الذي ينبني تديّنه على أسس علمية وبحث معمق وليس عن أفكار ورثها عن آبائه أو ما يعرف بالتدين التقليدي، والحقيقة أنهم انتقلوا إلى التدين الشيعي دون أي تمحيص ولا يوجد لهم أي تميز أو انفراد، فحتى الطقوس التعبدية التي كانت تمارس في الخفاء تبين أنها هي الأخرى لا تختلف عن تلك التي تمارس في المجتمعات الشيعية، بغرائبها وعجائبها التي لا تمت للسنة النبوية بصلة، والتي لا تختلف عن ممارسات بعض الطرق الصوفية، فأين التميز الذي يدعيه هؤلاء؟ وأين القراءة الموضوعية؟

أليس هذا انتقالا كاملا وشاملا وتسليما للعقول في كل الجزئيات ولربما أكثر من بعض الشيعة الذين ينتقدون مثل تلك الطقوس؟

الجهر بالطائفية وإشكالية المرجعية الوطنية

يظهر من المناسبة أنها تتمحور حول مأساة آل البيت كما يزعمون، والجرائم التي ألحقت في حقهم من طرف الصحابة، فأحد المقاطع الذي عرض فيه درس كشف عن حقيقة العقائد التي يحاولون إخفاءها من الصحابة، إذ ينطلق المحاضر في تأريخ مسألة اغتيال سيدنا علي رضي الله عنه من اغتصاب ولايته بعد وفاة رسول الله ﷺ، تليها سلسلة من الاتهامات التي تطعن في الخلفاء الراشدين، فالأول والثاني دمرا ما بناه الرسول ﷺ، وورّثوا ذلك لعلي بن أبي طالب، كما أنهم عودوا الصحابة على الامتيازات والأموال، وهذا يفند كل الادعاءات الشيعية بداية من آية الله خامنئي إلى آخر مرجع شيعي وأحاديث عن تقريب واحترام رموز الطرف الآخر.

فمعتقداتهم هي التي نسمعها من المتشيعين في تلك الفيديوهات، وهي ما كان يظهر سابقا عبر المنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي بتبنيهم لكل المعتقدات الشيعية بداية من الطعن في عرض رسول الله ﷺ مرورا بادعاء كسر عمر رضي الله عنه لضلع فاطمة الزهراء وإسقاط الجنين من بطنها، وانتهاء بالتبرير لزواج المتعة والدفاع عنه.

وعلى المستوى السياسي والذي كانت تعبر عنه صورة الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله المعلقة على جدار البيت، وبجانبها صورة في نظرهم للحسين وأخرى يبدو أنها لعلي خامنئي، ولا شك أن جدران الغرف الأخرى تحوي صور القيادات السياسية الإيرانية، ونصر الله هو وكيل المرشد الأعلى في لبنان ما يعني أنها تبعية غير مباشرة في أسوأ الأحوال، وحتى إذا لم تظهر في الغرفة فهي منتشرة على أغلفة وصفحات الفيسبوك للمتشيعين، فضلا عن أخبار هؤلاء وحياتهم اليوم. والدفاع عن كل الأطروحات السياسية الإيرانية، من تبرير احتلال العراق وتصوير المالكي على أنه بطل قومي حرره من الأمريكان، إلى تبرير إجرام بشار الأسد والميليشيات الشيعية هناك والمسارعة لدعمه إعلاميا بزيارته في الوفد الجزائري كما سبق الإشارة.

إذا أخذنا كل هذه الأمور بعين الاعتبار، وأضفنا إليها مضمون الطقس الديني الذي كان مناسبة لحقن المتشيعين بجرعات من الحقد الطائفي لا أكثر، بتأكيد المظلومية من خلال تلك الطقوس وجعلها مسؤولية فردية تتوزع على كل المتشيعين، وتوجب عليهم الانتصار لأهل البيت كما يزعمون، سواء بقصائد الرادود وما تحمله من شحن طائفي، أو الدعاء الذي تختتم به الطقوس والذي يقول: (وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين). ألا يمكن القول إن هذه هي الطائفية عينها؟ وإذا لم تكن هذه هي الطائفية فما هي غيرها إذا؟

وتكملة للسؤال نفسه، ألا يدفعنا كل هذا لطرح بجدية إشكالية الولاء والانتماء للوطن؟ فإذا كانت الجماعات السنية يثار حولها سؤال المرجعية الوطنية رغم التقارب الكبير لحد التطابق في المعتقدات، والاختلافات الفقهية التي يتسع لها المجال، فما بالك بجماعة دينية مختلفة في العقائد والفقه، وحتى التصورات السياسية خاضعة لدولة أخرى. فكما يقال الاعتراف سيد الأدلة، وها هم الشيعة يعترفون بالصوت والصورة بمعتقداتهم وأفكارهم وتوجهاتهم السياسية، من هنا أصبح موضوع علاقة هؤلاء بالوطن أكثر إلحاحا، فأمام هذه الحقائق والوقائع أضحى من الضروري النظر لقضية المتشيعين باعتبارها مسالة أمن قومي لا تقل أهمية عن المسائل الأخرى ولابد من قوانين تجرم مثل هكذا علاقات[1].

---

(١) لتفاصيل أكثر حول علاقة الشيعة بالولي الفقيه ومسألة التجريم القانوني، انظر: علي حسين باكير، تجريم تقليد المرشد الأعلى في العالم العربي، العرب القطرية، ٢٠١٣/٠٦/١١، على الرابط: http://www.alarab.qa/details.php?issueId=2122&artid=247048

الخلاصة:

لا شك أن نشر الفيديوهات كانت محاولة لجس نبض الموقف الشعبي والرسمي لقياس ردود الفعل من التشيع، ولعل ضعفها شجعهم على المحاولة التالية التي تداولت مؤخرا والمتمثلة في السعي لتأسيس مسجد لهم في مدينة «تيبازة» بالقرب من العاصمة[1]. ورد الفعل هذا من طرف المتشيعين ومحاولتهم إثبات الوجود وفرض النفس، يؤكد استعدادهم للمواجهة في مرحلة لاحقة والمطالبة بما يعتبرونه حقوقا مشروعة لهم كأقلية دينية، ولن يجدوا غضاضة حينها بطرق أبواب منظمات دولية معلومة أهدافها، فضلا عن استغلالهم من طرف القوى الخارجية لتقسيم المجتمع وتوسيع رقعة الخروق فيه.

وبينما يسير المتشيعون في خط مطرد ويتبعون كل خطوة بأخرى أكبر منها، في المقابل وللأسف الشديد توقف موضوع الفيديوهات عند مستوى الوجبة الصحفية العابرة دون أن يتحول إلى قضية رأي عام وطني، فلم تطرح تساؤلات حول أهداف المتشيعين من نشر هذه المقاطع، ولم نسمع عن تحقيقات في الموضوع، حول ما إذا كانت هذه حسينية، أي فضاء للتعبد الديني خارج الإطار الرسمي، وما موقف القانون من ذلك؟، وهل توبع صاحب البيت والمسؤول عنه قضائيا أم لا؟ خاصة وأن الفيديوهات تعتبر تكذيبا رسميا ومباشرا وصفعة في وجه وزارة الشؤون الدينية ممثلة في الوزير السابق عبد الله غلام الله الذي كان ينفي دائما وجود الظاهرة في الجزائر، وعندما فعل اتهم بها اللاجئين السوريين دون أي أساس واقعي أو منطقي.

أما بالنسبة للمدافعين عن الهوية الوطنية والمرجعية الوطنية فلم نسمع موقفهم من هذه الطقوس، وعن علاقتها بالانتماء للوطن والهوية الجزائرية؟ ولماذا تطرح الحرية عند المعتقد الشيعي فقط؟

وكالعادة لم يصدر من رموز الحركة الإسلامية، وبشكل خاص الأحزاب السياسية، أي رد فعل حول الموضوع، وكأنه لا حدث بالنسبة لهم، ورغم أن الدعوة في صميم ومحور برنامجهم السياسي، إلا أن مسألة الدفاع عن الصحابة خارج اهتماماتهم، وما دام الأمر كذلك فإنه بلغة سياسية والتي يفترض أنهم يفقهونها ويتقنونها، فإن الأمر يتعلق بالأمن المجتمعي والفكري الذي من ضمنه حماية الدين من الشيعة، ولكن الإسلاميين الجزائريين لا زالوا يعتقدون أن الدفاع عن الثوابت الوطنية يقتصر فقط وينحصر في بقايا التروتسكية التي لم يعد لها أي دور فعال.

---

[1] أول مسجد للشيعة بتيبازة، موقع البرق الإعلامي، ٢٠١٤/٠٥/١٣، على الرابط:
http://www.elbark.com/index.php/politique/item/565-2014-05-13-10-04-42

الحركة النسوية في مصر (٣)
قاسم أمين.. عندما تتكشف الأقنعة

فاطمة عبد الرءوف(*) – خاص بالراصد

لا يستطيع الباحث في شئون الحركة النسوية المصرية خاصة، والعربية عامة، أن يتخطى الجدل الفكري الهائل الذي حدث في بدايات القرن العشرين على خلفية كتابي قاسم أمين «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة»، تلك الأعمال التي تشبه هزة أرضية كبيرة في التربة المصرية الآسنة.

فلقد وصل الضعف منتهاه بالاستعمار البريطاني لمصر وأصبحت المظالم متراكمة بعضها فوق بعض ولم ينهض أحد من المصلحين الإسلاميين بوضع مشروع اجتماعي متكامل للنهوض خاصة فيما يتعلق بوضع المرأة والأسرة. وفي

(*) كاتبة مصرية.

تلك الأجواء قام قاسم أمين بإنجاز ثلاثة أعمال فكرية متعلقة بقضايا المرأة والأسرة وذلك خلال ست سنوات.

ينتقد ويعتذر

الأول كتابه «المصريون» الذي يرد فيها على دوق داركور وهو كتاب ألّفه بالفرنسية عام ١٨٩٤م، انتقد فيه الهجوم الكاسح الذي شنه دوق داركور على مصر والمصريين وهاجم الإسلام فيه بضراوة وجعله سببا لحالة التردي التي يعيشها المصريون.

وخصّ المرأة والأسرة المصرية بنصيب وافر من هجومه اللاذع، ويُروى أن قاسم أمين ظل مريضا لمدة عشرة أيام بعد قراءته لهذا الكتاب من شدة الألم الذي عاناه من قسوة نقد دوق داركور.

اهتم قاسم أمين بالدفاع عن الإسلام في كتابه «المصريون»: (إنني أبعد ما أكون عن التعصب غير أنني أعتقد أن الإسلام هو أفضل راية يمكن أن تجمع حولها البشرية كلها متحدة في عقيدة واحدة ذلك أن الإسلام ببساطته وباختفاء الصوفية من نصوصه وبإيجابيته الخلقية وإمكان تلاؤمه ببساطة أصيلة مع كل التطورات وبتسامحه الكبير الذي يتميز به يجمع في رأيي مؤهلات تكفي لترشيح نفسه ليكون دين العالم كله .. إن الاسلام الذي ظل طويلا يمثل القوة والنور في العالم كله ما زال يملك ذخيرة ثقافية وعظمة خلقية تتيح له أن يصل حلقات السلسلة المحطومة وأن يعيد إيقاد الشعلات المنطفئة) [(١)]..

دافع قاسم أمين كثيرا في هذا الكتاب عن الحجاب وعن حق الرجل في الطلاق وعن المبررات التي تسمح بتعدد الزوجات، ولكن يبدو أن قاسم من داخله كان مهتزا على نحو ما، فهو لا يردّ الهجوم بهجوم أشد منه قسوة كما فعل في كتابه «المرأة الجديدة» مثلا وإنما هو يستأذن القوم في النقد والدفاع: (لستُ أحب الخوض في حديث عن الدين لأسباب تتعلق بطبيعتي الخاصة وبحرصي على مراعاة اللياقة العامة غير أن عليّ في هذه المرة أن أفعل ما أكره لأن موضوع الدين قد سيطر على جميع أجزاء كتاب دارفور بل إنني لأكاد أعتقد أنه هو الذي كان حافزا على وضع كتابه ولهذا فإني أستاذنه في أن أخصص له بدوري عدة سطور)[(٢)].

بدايات مهزومة

كان قاسم أمين يرقب الحياة الفرنسية خلال بعثته بنظرة مترددة حائرة فهو يشترك في الحفلات الباريسية المختلطة حائرا مضطربا تلك الحفلات التي سبق ونقل تفاصيلها رفاعة الطهطاوي (وقد أتيح لي تقييم هذا السحر الفريد وكان شأني شأن الآخرين في الإحساس بقدره وخاصة في وجود امرأة تجمع حصافة الفكر إلى جمال الجسد وقد رمت بي طبيعتي الخجولة بين الاضطراب والحيرة أكثر من مرّة غير أن هذا لم يقلل من حبي لهذه اللقاءات الشيقة التي يهتم فيها الجميع بخلق جو البهجة والاستمتاع به) [(٣)].

هذه هي البدايات الفكرية لقاسم أمين نستطيع من خلالها تبين أنها بدايات مهزومة حتى لو بدت في محاولة للانتصار، لقد تشبع قاسم أمين بالانبهار بنمط الحياة الباريسية بحيث رآها أقرب للكمال وإن لم يفصح بذلك في وقتها، كان انبهارا خفيا ولكنه عميق، حاول أن يخفف عنه بالدفاع الذي أظنه كان مخلصا فيه ولكنه كان مندفعا بقوة في طريق آخر.

بين قاسم وعبده

اقترب قاسم أمين من الأستاذ محمد عبده وعمل كمترجم شخصي له في باريس، ومن المؤكد أن نقاشات كثيرة دارت بينهما، خاصة فيما يتعلق بموقف الإسلام من قضايا المرأة والأسرة حتى أن

(١) قاسم أمين وتحرير المرأة والتمدن الإسلامي، د.محمد عمارة، ص١٢٤، ١٢٥، دار الشروق.

(٢) السابق، ص ١١٨.

(٣) السابق، ص ١٢١ ، ١٢٢.

كثيرا من الباحثين يرى أن الأستاذ محمد عبده هو صاحب كتاب «تحرير المرأة» وليس قاسم أمين بينما يرجّح الدكتور محمد عمارة أن بعض الفصول فقط هي للأستاذ محمد عبده كالفصل الخاص بالطلاق وذلك الخاص بتعدد الزوجات والسبب الذي دفعهم لذلك هو اللغة العلمية ذات التأصيل الشرعي التي كُتب بها هذا الكتاب أو تلك الفصول.

وسواء كان هذا صحيحا أو أن قاسم أمين تأثر فقط بالأستاذ محمد عبده ونقل فكره بأسلوبه الخاص أو استشاره فيما كتب إلا أن المنتج النهائي أي كتاب «تحرير المرأة» أشهر كتب قاسم أمين الصادر سنة ١٨٩٩م والذي أثار ضجة هائلة يبدو ملتزما على نحو ما بالاحتكام للشريعة الإسلامية حتى وإن شطّ في بعض الأحيان: (لو كانت عوائدنا فيما يتعلق بالنساء لها أساس في شريعتنا لكان في ميلنا إلى المحافظة عليها ما يشفع لنا. أما وقد برهنا على أن كل ماعرضناه من أوجه الإصلاح يتفق تمام الاتفاق مع أحكام الشريعة ومقاصدها فلم يبق لنا عذر في التمسك بها سوى أنها قد تقدست بمرور الزمان الطويل وأننا غفلنا عن مصالحنا وتدبير شئوننا)[1].

ولكن قاسم أمين كان مشدودا للسير في طريقه حتى النهاية فهو لم يتوقف عند مرحلة تحرير المرأة وأفكار الأستاذ محمد عبده التي تعلي من الشريعة الإسلامية كمرجعية نهائية لكافة الأحكام والقوانين المتعلقة بالمرأة والأسرة (السعي لدى الحكومة في إصدار القوانين التي تضمن للمرأة حقوقها بشرط ألا تخرج في شيء من ذلك عن الحدود الشرعية ولكن بدون أن تتقيد بمذهب من المذاهب)[2].

سقوط الأقنعة

نستطيع القول إن أفكار قاسم أمين تبلورت بشكل واضح ودون تردد في كتابه الأخير «المرأة الجديدة» الصادر سنة ١٩٠٠م، ومن الجدير بالذكر أن جميع القضايا التي لا تزال تثير جدلا في لحظتنا الراهنة سنجد لها بذورا أولى في هذا الكتاب فإن كانت الفترة التاريخية التي انتمى لها قاسم أمين نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين قد شهدت انبهارا عاما بالغرب وولعا بتقليده كرد فعل جامح لحالة الركود والتخلف والهزيمة والاحتلال، وعلى الرغم من بعض المدارس والاتجاهات التي حاولت النهضة على أسس حضارتنا إلا أن الصوت الأعلى بدا لصوت التغريب الذي كان قاسم علما من أعلامه بعد تبلور أفكاره ووضوحها كما وضح في كتابه «المرأة الجديدة» فالمرأة الأوروبية ذات المقام الرفيع هي غاية ما يسعى للوصول بالمرأة المصرية (غاية ما نسعى إليه هو أن تصل المرأة المصرية إلى هذا المقام الرفيع)[3].

والغربيون هم من فهموا طبيعة الإنسان (فالاختلاف بيننا وبين الغربيين منشؤه أن الغربيين فهموا طبيعة الإنسان واحترموا شخصيته فمنحوا المرأة ما منحوا أنفسهم من الحقوق في جميع ما يتعلق بالحياة الخاصة ولم ينازعها أحد في حق التمتع بحريتها في الأعمال البدنية والعقلية إلا ما حرمته الآداب وسووا بينها وبين الرجل في كل ذلك)[4].

ولنا أن نتساءل: ما هي هذه الآداب؟ من يضعها ويرفعها ويقررها؟ وعلى أي أساس ووفق أي هوى؟ وهل كانت تلك الحفلات التي شاهدها في باريس واستمتع بها رغم خجله تندرج تحت أي بند من هذه الآداب؟

حرية بهيمية

أما عن مفهوم تحرير المرأة الذي أفرد له قاسم العديد من الصفحات فقد اشتط فيه كثيرا حيث

(١) تحرير المرأة، قاسم أمين، ص ١٤٥، الهيئة العامة للكتاب.
(٢) السابق، ص ١٤٨.
(٣) المرأة الجديدة، قاسم أمين، ص ٦، الهيئة العامة للكتاب.
(٤) السابق، ص ٢٥.

يصف الحياة البهيمية التي تعيشها النساء في بعض المناطق المتوحشة وفي بعض العصور الغابرة بأنها صورة من صور الحرية حينما كانت المرأة لا تعرف من هو والد طفلها حيث لم يكن لأحد قوامة عليها، (عاشت المرأة حرة في العصور الأولى حيث كانت الإنسانية لم تزل في مهدها. ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستعباد الحقيقي)[١].

الهجوم على الحجاب

والحجاب في رأيه هو عنوان عبودية المرأة ولقد شن هجومه الأكبر في كتابيه «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة» عليه، وهناك أمر جدير بالانتباه هو أن قاسم أمين ربط بين الحجاب وتغطية سائر جسد المرأة بما فيه الوجه - فقاسم لم يدعُ لأكثر من إبداء الوجه، ربما لظروف عصره فهو لم يكن يستطيع الجهر بأكثر من ذلك، وربما لأنه في النهاية ينتمي لمدرسة الأستاذ محمد عبده - وهو حق أو رأي معتبر له ما يدعمه - وبين كل الشرور والمظالم التي وقعت على المرأة بعصره وهي كثيرة، ولا يمكن تجاهلها.

لكن هذا غير صحيح بدليل عودة الحجاب مع نساء عصريات بلغن الغاية في العلم منهن الطبيبات والمعلمات والداعيات وأستاذات الجامعة لم يمنعهن الحجاب من الارتقاء في سلم الحياة، وما ذلك إلا أثر من آثار تقليده الحرفي للغربيين وتأثره بنقدهم للحجاب (فالحجاب هو عنوان ذلك الملك القديم وأثر من آثار تلك الأخلاق المتوحشة التي عاشت بها الإنسانية أجيالا قبل أن تهتدي إلى إدراك أن الذات البشرية لا يجوز أن تكون محلا للملك، فأول عمل يعد خطوة في سبيل حرية المرأة هو تمزيق الحجاب ومحو آثاره)[٢].

انهيار الزواج

من الأشياء المؤلمة التي دعا لها قاسم الدعوة لتقليد الأوربيين في زواجهم الذي يتأخر ويتعقد للبحث عن صديق ورفيق، وهي الدعوة التي لا تزال تجد صداها حتى الآن حتى أصبحت بنودا قانونية أممية تحدد سن الزواج للإنسان: (ولا خلاف في أن عدد الزواج في أوروبا هو أقل منه في الشرق وسبب ذلك أن الواحد منهم لا يتزوج بها الواحد منا فإن الأوروبي يطلب من الزوجة قرينا يرافقه طول حياته، ونحن مسافرون في هذا الطريق بقوة لا يستطيع أحد مقاومتها ويظهر لي أن الزواج عندنا قد بدأ في التناقص)[٣].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو إذا كان الزواج يتناقص ويتعقد وقاسم نفسه يدعو لذلك حتى يتم الاختيار عن قرب وبدقة فكيف سيتعامل الإنسان رجلا كان أو امرأة مع الغريزة الجنسية العنيفة والتي تبدأ من سن البلوغ لقد أصبح الزواج في أوربا في طريقه للتلاشي وحلّت الفاحشة محل الزواج ولم تعد موطن استنكار واستهجان ولم يعد القوم يطلقون عليها لفظة فاحشة وإنما هي علاقة حب، علاقة غير شرعية، علاقة مفتوحة، علاقة في طور التجربة، فهل هذا هو الطريق الذي كان قاسم أمين يدعونا للسفر إليه ومن خلاله.

تحقير الأمة

لقد بلغ الغلو بقاسم أمين في انبهاره بالغرب وتحقيره لأمته ورميه لها بأسوأ النعوت أنه رماها بأنها أمة تعيش لشهواتها وتربي أبناءها على ذلك: (يمكنني أن أجاهر هنا بلا تردد أن صبيا من أولادنا ذكرا كان أو أنثى لا يزيد عمره عن عشر سنوات قد يحشد إلى ذهنه من الألفاظ والصور المحركة للشهوة وينمو في قلبه من الميل مع ما تدعو إليه غريزة التناسل ويبلغ من ذلك ما لا يبلغه شاب أو شابة في سن الخامسة عشرة أو الثامنة عشرة من أبناء البلاد الأوربية)[٤].

تحقير العلماء

لم يحاذر قاسم أمين وهو يطرح أفكاره

(١) السابق، ص ٢٢.
(٢) السابق ص ٣٤ ، ٣٥، بتصرف يسير.
(٣) ص ٦٦، بتصرف يسير.
(٤) السابق، ص ٤٤.

بخشونة ويهاجم علماء الدين الإسلامي بفظاظة وينعى على صحبه من التغريبيين أنهم لم يزالوا بعد يستفتونهم في أمور الحياة وهو من كان يعتذر لدوق داركور وهو يدافع باستحياء عن دينه ووطنه: (ومن العيب أن الجرائد وأصحاب الأفكار يرمون كل يوم علماء الدين الإسلامي بأنهم السبب في انحطاط وتأخر الأمم الإسلامية عن سواها في المدنية ويصفونهم بالتساهل في الدين وعدم مراعاة أحكامه ثم إذا تحركت غيرة لعرض رأي يظن أن فيه خيرا للأمة تحولت أنظارهم لهؤلاء العلماء واستفتوهم عن رأيهم فيه وغاب عنهم أن الذين يحاربون الإصلاح ولا يفرضون لتعلمهم العلوم العصرية فائدة تعود عليهم في تهييب عقل أو استكمال أدب أو تقويم عمل ولم يقبلوا تدريس علميْ الجغرافيا والتاريخ إلا رغم أنفهم ليس لهم مقام - لا من العلم ولا من الدين- يسمح لهم بإبداء رأي في شأن من شئون الأمة فضلا عن مسألة من أهم مسائل الاجتماع البشري)[1].

رفض حضارتنا

إنه لا يهاجم العلماء فحسب وإنما يهاجم الحضارة الإسلامية ذاتها ولا يجد فيها نظاما أو قانونا يستحق الإشادة أو يمكننا من النهوض وفقا لأسسه فيراها حضارة فوضوية لا تصلح لشيء حتى القوانين اليونانية والرومانية القديمة أفضل منها: (أين هذه الفوضى من النظامات والقوانين التي وضعها الأوروبيون لتأكيد روابط الزوجية وعلاقات الأهلية بل أين هي من القوانين اليونانية والرومانية التي لم تغفل في جميع أدوارها عن أهمية العائلة وشأنها في الهيئة الاجتماعية فأي شيء من هذا يمكن أن يكون صالحا لتحسين حالنا اليوم)[2].

من الأهمية بمكان أن نعيد قراءة النتاج الفكري لهذا الرجل بطريقة حرة تأخذ في اعتبارها ثلاثة أمور: الأول: محاكمة آرائه وفقا لميزان الشرع.

الثاني: النظر بعين صادقة للواقع التاريخي الذي كانت تحياه النساء في ذلك العصر.

الثالث: التأمل في تطوره الفكري أو انحداره الفكري إن جاز التعبير.

وللأسف هذا ما لم أجده في كتابات الكثير من الباحثين الإسلاميين الذين اعتمدوا على عدد محدود من المراجع في فهم فكر الرجل دون قراءته بشكل واع، وأصبحت هذه الأحكام المقولبة عقبة في طريق البحث الجاد فالهدف من ذلك ليس تقييم فكر كاتب أحدث دويا بقدر أن يكون الهدف تقييم مرحلة ستمثل الجذور البعيدة الغائرة للإصلاح.

والهدف الآخر معرفة نقاط الضعف الحقيقية بحثا عن إصلاحها فالإنكار لا يفيد شيئا بل يعمق نقاط الضعف ويزيد من تعقد المرض ولولا وجود الأمراض والضعف ما جرؤ قاسم أمين على طرح الكثير مما كتب والحقيقة أن كثيرا من الأمراض والمشكلات لم يزل موجودا حتى لحظتنا الراهنة دون أن يبذل الجهد الكافي من أجل محاصرتها.

يبقى أن نقول إن كتابات قاسم أمين كانت البناء الفكري الذي قامت عليه الحركة النسوية المصرية الحديثة حيث تم وضع أفكاره النظرية موضع التطبيق العملي المخطط والمدروس وإن كانت النسويات المعاصرات ينكرن ريادة قاسم ويبحثن عن بعض النماذج النسائية التي كان لها دور في الحراك الاجتماعي أبان ذلك الوقت حتى لا يكون رجلا من قاد الحراك النسوي المصري.

(١) السابق، ص ٨.

(٢) ص ١١١ ، ١١٢.

جهود الشيخ العلامة
د. عمر الأشقر في التحذير من الشيعة

محمود بن محمد حمدان(*) - خاص بالراصد

من تكريم الله لعباده توفيقه لهم لينفوا عن دينه تحريفَ الغالين، وضلال المُضلين، ومِن هذه الثُّلة المُباركة العلامة د. عُمر الأشقر -رحمه الله- ، الذي كان له موقفٌ بيِّنٌ واضح تُجاه الشيعة؛ حيث فضح مُعتقداتهم وردَّ عليها، وحذر من ثورة الخُميني التي انخدعَ بسرابها بعض الجماعات الإسلاميَّة، ودُعاة التَّقريب ولا غَرْو فقد تربّي على أيدي كبار عُلماء عصره، وتشرَّب العقيدةَ الصحيحةَ مِن أهلها.

جهود الشيخ في بيان قبح معتقدهم:

أوَّلاً: عقائدهم الباطلة وإبطالها:

١- **عصمة الأئمة:** يقول الخميني إن «الأئمة لا تتصور فيهم السهو أو الغفلة، ونعتقد فيهم الإحاطة بكلّ ما فيه مصلحة للمسلمين[1]»[2].

وفي ذلك يقول الشيخ عُمر الأشقر: (الشيعة يعتقدون في أئمتهم أنهم معصومون عن الخطأ، وكلامهم ككلام الرسول ﷺ؛ لأنهم لا يخطئون ... ثم بما أنهم معصومون فلهم التشريع، والتشريع عندنا انتهى بوفاة الرسول ﷺ ، أما عندهم فلقد استمر إلى سنة (٢٦٠هـ)، حين اختفى الإمام الثاني عشر، والحلال والحرام لا يؤخذ إلا من كلام أئمتهم)[3].

إبطالُ عقيدة العصمة، والردّ عليها: قال الشيخ عمر – رحمه الله- : (ومما يدلُّ على بطلان مُدَّعاهُم في الأئمة أنَّ المعصوم يجب اتباعه من غير دليل! ومخالفة غير المعصوم جائزة، بل تكون واجبة إذا علمنا أنّه خالف النصَ، وقد أمرنا الله بطاعته وطاعة رسوله، وغير رسوله يطاع إن أمر بطاعة رسوله، فإن تنازعنا رددنا الأمر إلى كتاب الله وسنة رسوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩]، فلو كان الأئمة معصومين لكانَ أوجب الرد إلى الله وإلى الرسول والأئمة، فدلّ عدم إيجاب الرد عليهم حال التنازع على عدم عصمتهم!

وقد كان عليٌّ وابناه، وغيرهم، يخالفُ بعضهم بعضًا في العلم والفتيا، كما يخالف سائر أهل العلم بعضهم بعضاً، ولو كانوا معصومين لكان مخالفة المعصوم للمعصوم ممتنعة، ولقد كان الحسن في أمر القتال يخالف أباه، ويكره كثيراً مما يفعله، ويرجع عليٌّ في آخر الأمر إلى رأيه، وتبين له في آخر الأمر أنّه لو فعل غير الذي فعله لكان الصواب، وله فتاوى رجع ببعضها عن بعض، والمعصوم لا يكون له قولان متناقضان، إلا أن يكون أحدهما ناسخاً للآخر.

وقد وصى الحسن أخاه الحسين بأن لا يطيع أهل العراق، ولا يطلب هذا الأمر، ولو كان معصوماً لما جاز للحسين مخالفته[4]..)[5].

٢- **تفضيلهم الأئمة على الأنبياء:**

مِن جملة عقائد الرافضة الضالة تفضيلهم لأئمتهم على الأنبياء، وفي بيان ذلك قال الشيخ – رحمه الله- : (وعند الشيعة باتفاق أن الأئمة الاثني عشر أفضل من الأنبياء والمرسلين! إلا خمسة وهم أولو العزم من الرسل، والأكثر على أنهم أفضل من أولي العزم!! إلا محمداً ﷺ. وهذا القول بالإجماع ولم يخالفه واحد منهم لا في القديم ولا في الحديث.

وفي كتاب الكافي للكليني الذي يُعتبر من أصول فقه الشيعة ومن الكتب المعتمدة: تمجيد

(*) كاتب من غزة.

(١) الحكومة الإسلامية للخميني: ص ٩١.

(٢) نقل ذلك الشيخ الأشقر في كتابه: الرسل والرسالات (ص: ١١٤).

(٣) دروس الشيخ عمر الأشقر (٣/ ١٣، بترقيم الشاملة آليا).

(٤) قال د. الأشقر: راجع مجموع فتاوى: ٣٥ / ١٢٠، ١٢٦.

(٥) الرسل والرسالات، ص ١١٦.

عظيم لأئمتهم، ورفعهم فوق مرتبتهم، ويعتقدون أن الأئمة يعلمون ما في الغيب، أي: أن الأئمة يعلمون علم ما كان، وما يكون)[1].

٣- قولهم بتفضيلهم وتقديم عليّ على أبي بكر وعُمر -رضي الله عنهم:

قال الشيخ عُمر - رحمه الله- : (... ويقولون في علي بن أبي طالب رضي الله عنه إنه هو خليفة المسلمين وإمامهم؛ لأنه هو الذي نَصَّ الله عليه، والصحابة رضوان الله عليهم الذين لم ينتخبوا علياً واختاروا أبا بكر، فلم يطبقوا وحي الله سبحانه وتعالى، ويكونون في حكم الله قد خانوا الرسالة والأمانة، فرواية الصحابة التي هي أحاديث البخاري ومسلم وأبي داود وغيرهم لا تُقبل؛ لأنها جاءت من طريق الصحابة الذين خانوا الأمانة والرسالة حسب زعمهم..)[2].

ثانيًا: رد الشيخ عمر لشبهة الشيعة حول المسجد الأقصى، وقولهم: «إنَّ المسجد الأقصى في السَّماء!!، ومسجدَ الكُوفة أفضل منه!».

رغم أنَّ مكانة المسجد الأقصى لا يماري فيها أحدٌ من المُسلمين، بل هي مِن المُسلَّمات الواضحات، ومَعَ ذلك فقد أنكر الشيعة هذه المكانة العظيمة، ومِن خبثهم أنَّهم لعبوا دور الحريصين على فلسطين وأقصاها، وتحريرها؛ ليخدعوا بذلك بعض أهل السنة، غيرَ أن الحقيقة مخالفة - تمامًا- لهذه الدَّعوى.

من كذب الشيعة على أئمة آل البيت ما رواه شيخهم محمَّد باقر المجلسي: «عن أبي عبد الله - عليه السلام- قال: سألته عن المساجد التي لها الفضل فقال: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، قلت: والمسجد الأقصى جعلت فداك؟ قال: ذاك في السماء!!، إليه أسري برسول الله ﷺ، فقلت: إن الناس يقولون إنه بيت المقدس فقال: مسجد الكوفة أفضل منه!!!»[3]. ويقول علامتهم جعفر مرتضى العَامليّ: «لقد تبيَّنَ لنا عِدَّةُ حقائق بخصوص المسجد الأقصى، والذي يحسم الأمر **أنَّه ليسَ الذي بفِلسطين!!**»[4]. وزعمَ -أيضًا- : «أنه حين دخل عمر بيت المقدس لم يكن هناك مسجد أصلاً!!، فضلاً أن يُسمى أقصى!!»[5].

وهذه النقول وغيرها عن مراجعهم، وآياتهم توضح حقيقة معتقد الشيعة في المسجد الأقصى، وأنَّه لا فضيلة له ولا مكانة، وأنه ليس الذي في القُدس، بل هو في السماء، وأنَّ مسجد الكوفة أفضل منه - فضَّ الله أفواههم- ، وهذه الضلالات روجوا لها في مؤلفاتهم، وأخذها عنهم اليهود، والمستشرقون.

وقدْ انبرى العُلماء، ومنهم: العلامةُ الأشقر - رحمه الله- لردِّ هذه الفِرية، وإبطالها بالدليل من القُرآن الكريم، وسُنَّة النَّبيّ ﷺ، واستنكرَ أن ينتسب قائلها للإسلام، والإسلام منه ومِن معتقداهم براء.

قال الشيخ - رحمه الله- تحت عنوان: «الأقصى في الأرض وليس في السماء»: (يدعي بعض من يُنسب إلى الإسلام!! أن المسجد الأقصى ليس في الأرض، بل هو في السماء!، وأنه الذي يسمى بالبيت المعمور! وقد تلقى هذا القول المتهافت بعض المستشرقين، وبعض اليهود[6]، وهذا قولٌ

(١) دروس الشيخ عمر الأشقر (٣/ ١٣، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٣، بترقيم الشاملة آليا).

(٣) بحار الأنوار؛ لمحمد باقر المجلسي (٤٠٥/٩٧)، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م؛ دار إحياء التراث العربي.

(٤) الصحيح من سيرة النبي الأعظم؛ للعاملي (١٣٧/٣)، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، المركز الإسلامي للدراسات. ومن الغرائب أنَّ هذا الكتاب نالَ جائزة إيران للكتاب، وقام رئيسهم السابق أحمدي نجاد بالتكريم!!، وانظر: **(الشيعة والمسجد الأقصى)** للأستاذ الشيخ طارق حِجازي ففيه مزيدُ بيان.

(٥) المصدرُ السابق.

(٦) وإن تعجب؛ فاعجب ليهود الذين نسبُوا هذه الفرية -حقيقة- للشيعة، قال الباحث اليهودي، والعضو في معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية في الجامعة العبرية إسحق حسون: «ومعروف أن فِرَقًا من الشيعة لا ترى لمسجد بيت المقدس فضلاً على غيره من المساجد!»، ثمَّ قالَ في الحاشية رقم (٣٢): «وانظر على سبيل المثال (بحار الأنور)؛ للمجلسي (٩٠/٢٢) وكتاب: (ينابيع المودة)؛ لسليمان بن إبراهيم القندوزي، (ص ٤٤٣ - ٤٤٤)».

=

باطلٌ، وأهل العلم الذين يُعتدُّ بقولهم مُجْمِعُون على أنَّ المراد بالمسجد في الآية الكريمة هو المسجد الأقصى المعروف في مدينة القُدس.

ولو كان هو الذي في السماء لما قال: ﴿ ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ①﴾ [الإسراء: ١]؛ لأن السماء كلها مباركة، وأول ما يدخل في الأرض المباركة أرض فلسطين، وهي موطن نبي الله سليمان الذي قال الله فيه: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ٨١﴾ [الأنبياء: ٨١].

والأرض المباركة التي حول الأقصى هي الأرض التي نجَّى الله إبراهيم ولوطاً إليها ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ٧١﴾ [الأنبياء: ٧١].

وهي الأرض المقدسة التي أمر موسى قومه أن يدخلوها قائلاً: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ٢١﴾ [المائدة: ٢١].

وقد بُني هذا المسجد بعد المسجد الحرام بأربعين سنة، والبيت المعمور مبني في السماء قبل ذلك بدهور لا يعلمها إلا الله. روى البخاري في صحيحه عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: «سمعت أبا ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام. قال: قلت: ثم أيّ، قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثمّ أينما أدركت الصلاة [بعد] فصله، فإن الفضل فيه» [البخاري: ٣٣٦٦، ومسلم: ٥٢٠].

وهذا المسجد هو الذي كان يُصلي إليه رسول الله ﷺ في أول الأمر قبل أن يُوَجَّه في صلاته إلى الكعبة، ففي صحيح البخاري عن البراء بن عازب: «أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال: أخواله من الأنصار، وأنه صلى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً» [البخاري: ٤٠، ومسلم: ٥٢٥].

وقد أخبرنا رسولنا ﷺ أنه «**ركب البراق ليلة الإسراء، فركبه حتى جاء به بيت المقدس، ثم دخل المسجد فصلى فيه ركعتين، ثم عُرج به إلى السماء**» [مسلم: ٢٥٩].

وعندما عاد الرسول ﷺ إلى مكة وأخبر قريشاً بإسرائه إلى المسجد الأقصى، فأخذوا يسألونه عن أشياء في بيت المقدس لم يثبتها، فَكَرَبَهُ ذلك، فرفع الله المسجد إليه ينظره عياناً، فما سألوه عن شيء إلا أنبأهم به، وأخبرنا في هذا الحديث أنه صلى بالأنبياء إماماً، وَوَصَفَ هيأة موسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام [مسلم: ٧٢].

وهذا غيض من فيض يدلنا على أن المسجد هو المسجد الذي في القدس، وليس كما يقول مَن قال: إنه في السماء!.

والذي دعا من زعم أن الأقصى في السماء أن الإسراء كان قبل فتح القدس، والمسجد إنما بناه عُمر بعد فتح القدس ووفاة الرسول ﷺ ، **وغفل هؤلاء بسبب عدم علمهم بالسنّة النبوية!** أن المسجد قد يُطلق في السنّة على أماكن العبادة عند السابقين، ففي حديث أبي ذر الذي رواه البخاري وأوردتُه قبل قليل تسمية المعبد الذي في القدس مسجداً، وشبيه بهذا كما يرى ابن تيمية أن الكتب السماوية، وهي التوراة والإنجيل والقرآن والزبور قد يراد بها الكتب المعنية، ويراد بها الجنس، فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره، كما في حديث البخاري أنه: «خفف على داود القرآن فكان ما بين أن تسرج دابته إلى أن يركبها يقرأ القرآن». قال ابن تيمية: «المراد به قرآنه، وهو الزبور، وليس المراد به القرآن الذي لم ينزل إلا على محمد».

وكذلك ما جاء في صِفة أمة محمد: «أناجيلهم في صدورهم» فسمى الكتب التي يقرؤونها أناجيل، وكذلك في التوراة: «إني سأقيم لبني

مقدمة تحقيقه لكتاب: «**فضائل البيت المقدس**»؛ لأبي بكر محمد الواسطي، ص ٣٥، ط. دار ماغنس للنشر، الجامعة العبرية أورشليم القدس!، ١٩٧٩م.- بتصرُّف يسير- .

إسرائيل نبياً من إخوتهم أنزل عليه توراة مثل توراة موسى»، فسمى الكتاب الثاني توراة. [الجواب الصحيح: ٥/١٥٦])[١].

ثالثاً: تجارب واقعيَّة للشيخ الأشقر مع الشيعة، ومواقفه منهم ومِن علمائهم

١- قصة وتجربة شخصية يرويها الشيخ عمر الأشقر - رحمه الله- :

يقول - رحمه الله- : (فوجئت في أحد المؤتمرات وكان قد عُقد في بريطانيا أنهم دعوا عالماً شيعياً، تحدث إلى الشباب المسلم هناك عن نظرية ولاية الفقيه، وكان صريحاً في حديثه عن الشيعة ومعتقداتهم، فأثارني ذلك وهيّجني، ودعوت أحد القائمين على المؤتمر، وأنكرت عليه ومن معه دعوتهم لذلك العالِم الشيعي ليتحدث عن الشيعة، وليس فيهم شيعي واحد، وطلبت منهم الإذن بأن يسمحوا لي بالحديث معقباً عليه، فذهب وكلم المسئولين عن المؤتمر فرفضوا، فقلت له: لكم أن ترفضوا فأنتم أصحاب الأمر هنا، ولكني لن أبقى في موضع يُؤذن للشيعي أن يتحدث لأبناء أهل السنة، ويُمنع العالم السني أن يتحدث إليهم، وقمت مصمماً على مغادرة المكان، فقال: أين تذهب، قلت: لا شأن لكم بي، وسأجد طريقي مغادراً إلى لندن.

فطُلب مني أن أتمهل قليلاً، وانطلق معلماً المسئولين بموقفي، وتمخض الموقف عن إذنهم لشخص آخر غيري، يزعمون أنه ألطف مني، ليعقب على ذلك العالم، وفعلاً عقب تعقيباً حسناً لا بأس به، ولكنه لم يشف، ولم يكف، وغادرت بريطانيا متوجهاً إلى أمريكا لحضور مؤتمرهم، وأنا متألم جداً لما وقع في مؤتمر بريطانيا.

وحدثت الإخوة في أمريكا عما جرى في بريطانيا، وكان بعض المسئولين من طلبتي في الكويت، فأخبروني أن هناك توصية عامة صدرت إلى جميع المراكز الإسلامية توصي بعدم مهاجمة الشيعة، وعدم الحديث عنهم، فقلت: ما دام الأمر كذلك فالواجب على المسئولين في بريطانيا عدم استضافة هذا الرجل الشيعي ليتحدث في المؤتمر.

وأخبرتهم أنني سأتحدث عن الشيعة في مؤتمرهم عرضاً، ولن أطيل في الحديث عنهم، فقالوا: الذي نستطيع أن نقوله لك: لا تجعل موضوعك الشيعة، وفعلاً تحدثت في تلك المحاضرة عن «تصويب المسار»، وأوردت كثيراً من الأخطاء الكبرى التي وقع فيها المسلمون في العالم الإسلامي، وذكرت في أثناء ذلك بعض الأخطاء الكبرى عند الشيعة، ولم أطل في الحديث عنهم، فأثار كلامي عن الشيعة حفيظة الحاضرين، وكان عدد الحاضرين قريباً من الخمسة آلاف من الرجال والنساء، وكنت قد اختصرت المحاضرة، تاركاً الفرصة للأسئلة.

وقد تواردت الأسئلة المكتوبة، وامتلأت بها الطاولة الطويلة العريضة التي أجلس إليها بالأوراق، وتسعون في المائة من تلك الأسئلة كانت عن الشيعة، فبينت مذهبهم الذي يعتمدون عليه، والأصول التي لا يكون شيعياً من لا يعتنقها، واهتاج كثير من الحاضرين، وكان في المؤتمر عدد من الطلبة الشيعة، وأخذ بعضهم في البكاء فزاد من هياج المشاركين، ثم تحدث بعض الطلبة الشيعة، فانقلب السحر على الساحر، قال ذلك المتحدث: نحن لا نسبّ أبا بكر وعمر ولكننا نسب عائشة بنت أبي بكر، فتركتُه يسترسل في حديثه، وذهل الحاضرون من الطلبة السنة، وقالوا: كيف تسبون عائشة زوج الرسول ﷺ التي برأها الله من فوق سبع سماوات، ومال جو المؤتمر بعد ذلك لصالحي، وقد أذن لي بعد ذلك أن أقول الحق الذي يجب قوله في ذلك المؤتمر، وبينت أن كلام من يقول: إن الخميني قد خلا من التعصب المذهبي، وأنه مبرأ مما يقوله الشيعة، وزعموا أن الشيعة المعاصرين ليس فيهم بلاء الشيعة الغابرين، وكنت

(١) كتاب: (ليتبروا ما علوا تتبيرا) للشيخ الأشقر، ص ٨٤- ٨٦.

قد درست كتاب الحكومة الإسلامية للخميني، فألقيت على مسامعهم ما يقوله الخميني في ذلك الكتاب، وإذا به شيعي كغيره من الشيعة، وتبين لمن سمعني أنه لا فرق بين شيعة اليوم وشيعة الأمس، وتناقلت وسائل الاتصال أخبار هذه الندوة، ووصلت إلى مختلف أنحاء العالم، وكسرت ذلك الحصار الذي فرضه بعض الأخيار في الحديث عن الشيعة.

وقد كنت في مصر بعد ظهور الخميني وقدر لي أن ألتقي بكثير من الطلبة الفلسطينيين الذين يدرسون في القاهرة، ورتبت لهم زيارات إلى منزلي الذي استأجرته في مدينة نصر، فكان يزورني في كل مرة قرابة خمسة عشر طالباً فأحدثهم طويلاً عن الشيعة، وناقشت بعض الطلبة الذين جاؤوا من الأردن للدراسة في القاهرة، فعجبوا لحديثي، وقد رفضوا الاستماع لي في أول الأمر، ولكن الحقائق التي أريتهم إياها في كلام الخميني فعلت فعلها فيهم.

وقد كنت كتبت رسالة صغيرة تظهر موقف الخميني من الشيعة والتشيع، وأنا في الكويت، ووجهتها إلى بعض القيادات الإسلامية الذين كانوا في اجتماع في القاهرة، وكم آلمني أنهم لم يجدوا وقتاً للاستماع لخلاصة تلك الرسالة.

واليوم بعد أن كشف الشيعة عن الوجه الحقيقي لهم وعن جهودهم في تشييع أهل السنة ثار كثير من العلماء الذين كان لهم موقف مخالف لموقفنا من الشيعة، وتكلم بعضهم محذراً من الخطر الشيعي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد أخذ الشيعة يتسللون إلى أهل السنة في ديار أهل السنة في مصر وسوريا والأردن وغيرها، وقد أرادوا أن يقيموا حزباً كحزب الله اللبناني في الأردن، فانتبه ولاة الأمر في الأردن لذلك، ومنعوا الشيعة من التفريخ والتوالد في هذه الديار، وقد أغضب هذا الشيعة، ولكنه حفظ الأردن من هذا الخطر، ولكن الشيعة فرخوا وباضوا في سوريا ومصر وغيرها من بلاد أهل السنة.

وقد أعلمني بعض الإعلاميين الذين يستقصون أمر الشيعة، أن الشيعة أقاموا عدة مطابع في العالم تصدر مئات الألوف من كتبهم، توزع على أبناء أهل السنة في كل مكان، وقد أصبح للشيعة دولة كبيرة، تبذل جهدها في تأصيل المذهب والدعوة إليه، وأصبح للشيعة قنوات فضائية كثيرة تبث بالعربية، وتدعو الناس للانضمام لمذهبهم.

وقد حدثني الذين حضروا معرض الكتاب الدولي في القاهرة في عام (٢٠٠٦م) أن الدولة أذنت لمن يبيع الكتب التي تهاجم الشيعة وترد عليهم، وكان ذلك واضحاً بيناً، وكانت قبل ذلك تضيق على من يعرض كتب الشيعة)[1].

٢- أحد رافضة الكُويت يعترض على تآليف الشيخ عمر الأشقر

قال الشيخ د. الأشقر في معرض حديثه حول مؤلفاته خصوصًا ما كان منها في باب تأصيل عقيدة أهل السنة والجماعة: (لم تخلُ المؤلفات التي ألفتها من الإشادة بها من بعض الذين يحسنون الظن بها، والنقد من الذين لهم رأي فيها، وقد يكون النقد قريباً، وقد يكون شديداً.

وأنا لا أعبأ بنوعين من النقد:

الأول: **نقد خصوم الإسلام الذين يحقدون على الإسلام وأهله، وهؤلاء أعداء، والأعداء قليل منهم المنصف العادل، وقد نال رسول الله ﷺ الكثير من خصومه وأعدائه، وأقوال الخصوم هي عندنا في الإسلام بمثابة الشهادة لنا، فلا يضيرنا ما قالوه فينا.**

والثاني: نقد الفرق الضالة التي وإن ضمنا وإياها الإسلام، ولكنها مخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة.

وهذا النمط أيضاً نمط سيء من النقد، فنحن نختلف من أصحاب هذا النمط في أصول كبرى، ونعد هؤلاء فرقاً ضالة ولا نكفرها على وجه العموم.

(١) صفحات من حياتي، ص ٢٥٤- ٢٥٧.

وقد وجه نائب برلماني في إحدى الدول العربية سؤالاً في مجلس الأمة إلى وزير التربية في بلدة حول قيام بعض مدرسي كلية الشريعة بتدريس كتابي «نحو ثقافة إسلامية أصيلة» وكان ذلك في عام ٢٠٠٥.

وجاء في سؤال هذا الرجل أن الكتاب يتضمن مزاعم مشوهة للمعتقدات الدينية والمذاهب الإسلامية كافة، بشكل متعمد، وزعم أنني بعيد عن روح الأمانة العلمية وحرية التعبير عن الرأي، وتعسف هذا الرجل في طلبه من وزير التربية أن يرفع إليه أسماء الأساتذة الذين يدرسون هذا الكتاب.

وهذا رجل حاقد موتور عبأه الحقد الطائفي على سلفنا من الصحابة والتابعين والفقهاء الأعلام، فهو من الذين لا يسبون عمر الأشقر فحسب، بل يسبون عمر بن الخطاب والصحابة إلا قليلاً منهم. وهذا وأمثاله لا نعبأ بهم، ولا نلتفت لهم، ولا لنقدهم.

أما الذين هم على مذهب أهل السنة والجماعة، فكثير منهم حظيت هذه المؤلفات برضاهم، فأشادوا بها، ودلوا عليها، وبعضهم من أهل العلم مَن نقدها نقد العارف، ودل صاحبها على بعض الأخطاء التي وقع فيها، ودعا بعض المسئولين المؤلف للمشاركة في مؤلفات تقوم الأجهزة التي يقومون عليها بطباعتها ونشرها، وبعض الذين ينسبون إلى العلم هاج وماج وأرغى وأزبد واتبع هواه، وقال في ما أنا بريء منه) [1].

رابعاً: دور الشَّيخ البارز في وقاية بعض الجماعات الإسلامية من التَّشيع العقدي

كتب الدكتور علي العتوم- وهو من كبراء جماعة الإخوان المسلمين في الأردن- كلمة تحت عنوان: **(أخي عمر الأشقر .. أستودعك الله)** ما نصه:

(قامةٌ من قامات العلم الشّرعي باسقةٌ، وعمودٌ من أعمدة الدّعوة إلى الله راسخٌ، وعالمٌ من علماء المنهج السّلفي الكبار، وداعيةٌ من دعاة الحركة الإسلاميّة المعروفين، ورائدٌ من روّاد منظمة حماس الأوائل، ومؤلّفٌ من مؤلّفي الفكر الإسلامي المكثرين، فقده الأردنّ وفلسطين، بل الأمّة الإسلاميّة جمعاء قبل أيّامٍ، إذ ارتفعت روحه الطّاهرة ملفوفةً بمناديل معطّرةٍ إلى بارئها، وفِساح جنانه العُلا، يوم الجمعة (٢٢ رمضان ١٤٣٣هـ الموافق ٢٠١٢/٨/١٠م)، فكان الأمر أفول نجمٍ لمّاح غاب، وغياب كوكبٍ دريّ غار، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

عرفته أول ما عرفته بدايات عام ١٩٨٠م في القاهرة يوم كنت أحضّر لرسالة الدّكتوراة في اللّغة العربية في جامعة القاهرة، ويحضّر هو لها في علم الشّريعة بجامعة الأزهر، إذ كنت حينها أسكن مدينة نصر– حي رابعة العدويّة، وأتولّى مسؤوليّة دعوة إخوان بلاد الشّام بمصر، وقد نزل عليّ ضيفاً كريماً، وبات عندي ليلةً كنت جِدّ سعيدٍ بها، إذ أستضيف أخاً مسلماً محبّباً، وعالماً سلفيّاً وقوراً، وشخصاً يؤثر قلّة الكلام، ويتحرّى ألاّ يتكلّم إلاّ بما يليق أو يفيد.

وأذكر أنّه رحمه الله وبلّل بالنّدى مثواه، أصدر يومَ ذاك، وفي وقتٍ كانت فيه الثّورة الإيرانيّة على الشّاه محمد رضا بهلوي، وعمّت الآفاق شهرةً واتّساعاً **أصدر آنذاك وبغير قرقعةٍ إخباريّة كُتيّباً عن هذه الثّورة وفكرها، بعنوان: «لكيلا نُخْدع»، يُنبّه فيها على خطر الفكر الشيعيّ الكبير، ويحذّر من مغبّة امتداده في ديار المسلمين.**

وأحفظ حينها جيداً، وقد كنّا – نحن الإخوان المسلمين– من أول المؤيّدين لهذه الثّورة تأييداً سياسياً، يظهر فيما كانت تصدره الجماعة يومئذٍ من بياناتٍ، وما يقوم به رجالها من خطب ودروس، وتسطّره مجلّتهم (الدّعوة) من تأييدٍ للثّورة وشيوخها، تأييداً نثبت فيه أنّنا نحن أهل السّنّة والجماعة وأخصّ الإخوان المسلمين يهمّنا تحرير البلاد والعباد من الطّغاة والمستبدّين، ونسعى

---

(١) المصدر السابق، ص ١٦٦- ١٦٧.

للالتقاء مع غيرنا من المسلمين على الخطوط العريضة، داعين إلى تضييق الفجوة بين أصحاب المذاهب الفكريّة، ولا سيّما أهل السنّة والشّيعة. أجل أحفظ أنّنا يوم ذاكَ لم نرَ نشر الرّسالة بين الإخوان وسريانها، تحت ذريعة أنّ هذا ليس وقته الآن...)[1].

حسابات إيران والمالكي في العراق بعد انتخابات ٢٠١٤

صباح العجاج[*] – خاص بالراصد

أسدلت الانتخابات العراقية أستارها بظهور النتائج، حيث حازت قائمة رئيس الوزراء الشيعي نوري المالكي المرتبة الأولى بـ (٩٢) مقعداً، مبتعدةً عن أقرب كتلة لها قرابة الضعف، لكنها تحتاج إلى ١٦٥ مقعداً ليأخذ المالكي الولاية الثالثة.

تكمن المشكلة عند المالكي في أنّ العديد من القوى الشيعية في التحالف الوطني قبل الانتخابات رفضت ولايته الثالثة علنًا، وأشارت لذلك المرجعية الشيعية في النجف (السيستاني)، كما صرّح بذلك الكرد، فضلا عن إياد علاوي والقوى السنية المشتتة، فكان هناك اتفاق واسع على رفض الولاية الثالثة للمالكي.

والمالكي نجح في الحصول على هذا الرقم بشق الأنفس، عبر التزوير والتلاعب بأصوات الشيعة، وحرمان عدد من الصدريين من الترشيح بالاجتثاث والمساءلة القانونية؛ مثل صباح الساعدي، ومها الدوري.

ومارس ضد السُنّة عدة أمور: فقد شنّ حربًا على الأنبار واعتقل نائبا سنيا، وإحدى غاياته من ذلك لمّ شمل الشيعة بعد التفرق ورفع الصوت الطائفي داخل المكون الشيعي وجمعه على قضية خارجية ليتجمع، وكذلك مهد وسهل الفوز لسُنّة «السلطة» الذين تربطهم بالمالكي أواصر قوية (مال وسلطة) للفوز، ومنع أهالي الأنبار من الانتخاب بفتح مياه السدود وإغراق بغداد (بالتنسيق مع داعش)، وتكثير الانقسام السني - السني حول الحرب بالأنبار، إضافة لما فعله في حزام بغداد السني من حملات قتل واعتقال.

كان المالكي بين (٢٠١٠- ٢٠١٤) طائفيًا مع السنة ديكتاتورًا مع الجميع عربيا وكرداً، سُنة وشيعة، ولذلك لم يحصل هذه المرة إلا على ٩٢ صوتًا، بينما بجهود أقل في انتخابات ٢٠١٠ حصل على ٨٩ صوتا، أي أنّ كل ما استطاع أن يفوز به ثلاثة أصوات زيادة على السابق، رغم استغلاله لأجهزة الدولة المختلفة وجميع قواها والجيش والشرطة؛ فقد احتكر تصويتها له تقريبًا.

بعض المقربين يذكر أن العدد الحقيقي لمقاعد دولة القانون هي من ٦٠- ٧٠ مقعداً، وأنه أخذ البقية من حلفائه (الحكيم والصدر). وهذا ما دفع الصدريين للتصريح بتزوير الانتخابات يوم إعلان النتائج.

والمهم الآن: هل يتمكن المالكي من تأمين الولاية الثالثة له مع هذه النتائج الضعيفة؟ والرفض المعلن من قبل خصومه الكثر؟ هل ينجح بالاعتماد على إيران في مسعاه، كما نجح في الانتخابات الماضية التي حرمت قائمة علاوي من تذوق حلاوة الحكم برغم فوزها في الانتخابات؟

كيف تعمل إيران داخل العراق:

نحتاج إلى أن نتذكر طريقة وآليات العمل الإيراني في العراق والعالم، حتى نستشرف موقف إيران اليوم من الولاية الثالثة للمالكي، حيث تعتمد إيران في توسيع دائرة نفوذها في العالم على ثلاث ركائز أساسية تستمد تأثيرها وفاعليتها من مدى قربها من المرشد علي خامنئي - الذي يملك تحديد السياسات العليا للنظام وعلاقاته الخارجية- وهي:

أولا: بعثاتها الدبلوماسية وملحقياتها الثقافية

---

(١) صحيفة السبيل الأردنية، بتاريخ: ٢٣ - ٨ – ٢٠١٢م، بتصرُّف.

(*) كاتب عراقي.

المدارة من قبل وزارة الخارجية.

ثانيا: منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية وتُدار من قبل مكتب المرشد.

ثالثا: قيادة عمليات فيلق القدس، الذي هو نخبة الحرس الثوري والجزء المهم منه.

والركيزتان الأولى والثانية تستخدمان كقوى ناعمة لمد النفوذ القومي الإيراني والتبشير الشيعي.

أما الركيزة الثالثة (فيلق القدس) فهو للتدخل المباشر لصالح الحلفاء والأصدقاء، عبر عمليات عسكرية وأمنية، الهدف الأساسي منه ليس لذاته العسكري بل لكسب أوراق في المفاوضات الإقليمية والدولية لتصب في صالح نظام الولي الفقيه.

بالنسبة للعراق وبسبب حالة الحرب والقطيعة بينه وبين إيران، فقد كان المدخل هو فيلق القدس، إذ بدأ عمل فيلق القدس فيه منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حيث تواصل مع القوى الشيعية العراقية في الداخل والخارج، وحثها على معارضة نظام صدام حسين، وعمل تنسيق بينها وبين الأحزاب والميليشيات العسكرية للشيعة العراقيين الذين سبق لإيران إيواء الكثير منهم منذ نشوب الحرب بينهما سنة ١٩٨٠.

وبعد الاحتلال ولغاية سنة ٢٠١٠ كانت سياسة إيران ترتكز على الاحتفاظ لنفسها بنفوذ ناعم غير مرئي على القوى الشيعية والحزبين الكرديين المعروفين، وبشكل أقل على بعض الأحزاب والحركات السنية والكردية ذات التوجه الإسلامي، مع دعم الميليشيات والمجاميع الشيعية والسنية - من خلال سوريا، ومنها تنظيم القاعدة - التي كانت ضد الأميركان، بهدف إنهاك الجيش الأميركي.

وعقب انسحاب الأمريكان من العراق فإن طهران باتت تضع وحدة الموقف السياسي لشيعة العراق على رأس أولوياتها بعد نجاحها في حمل الأميركان على انسحاب بلا ثمن.

ففي سنة ٢٠١٠ ولكي تضمن للمالكي ولاية جديدة سعى فيلق القدس إلى توحيد البيت الشيعي (التحالف الوطني العراقي) المنقسم خلف نوري المالكي ليتولى منصب رئاسة الوزراء، ونجح بذلك.

هكذا تنفذ إيران سياساتها في العراق، وليس كما يظن بعض المحللين الإسلاميين والقوميين أن إيران تشير بأصبعها فيطيعها شيعة العراق أو أن العراق ضيعة ومحافظة إيرانية، فهذه خرافة نجحت المخابرات الإيرانية في ترسيخها في الأذهان لتعطي إيران رهبة وقوة غير حقيقية[1]، وهذا ما يجب تجنبه اليوم حول طريقة تعامل إيران مع ملف ترشيح المالكي للولاية الثالثة.

خطة المالكي للفوز بولاية ثالثة اليوم:

يحتاج المالكي إلى ١٦٥ صوتا ليحصل على الولاية الثالثة؛ وتجميع الأصوات ليست مشكلة المالكي؛ إذ يمكن أن يتفق مع جهات غير شيعية: سنية أو كردية للحصول عليها مع بعض التنازلات والمناصب، لكنّ المالكي لا يمكنه أن يتجاوز إيران بذلك، ولا يجرؤ على فعل مثل هذه الخطوة لوحده، والمهم أن يحصل عليها من إيران وبرضاها، فضلا عن الرضى الأمريكي، وكلاهما مهم لينعم بولاية ثالثة، وهو لا يعلم علم اليقين هل يكرر قاسم سليماني دعمه له كما فعل في انتخابات ٢٠١٠م أم لا؟

ويبقى السؤال: هل تمنح إيران ذلك للماكي مرة أخرى؛ سلوك المالكي الشخصي جعل إيران تعيد النظر في قبوله كمرشح لولاية ثالثة؛ لأن المالكي خلق مشكلة لإيران في العراق، وسببّ بسلوكه الديكتاتوري تفتيت التجمع الشيعي

(١) من ذلك التكبير والتهويل ما تحاول أن توحي به إيران للدول العربية أن لديها جيشا قويا وضاربا تابعا للحرس الثوري، أقوى نفوذاً وأكثر تجهيزا، وحقيقة ما تملكه قوة صاروخية تعتمد على تقنية صواريخ سكود Scud الكورية، التي يبعد مداها مقابل تقليل كمية المتفجرات، وانعدام الدقة وهو ما فعله التصنيع العراقي سابقا. أما غواصاتها فقد منحتها روسيا جيلا قديما وتتعرض دائما لأعطال، وصيانة، ومنذ سنة ٢٠١٠ تعلن إيران أنها صنعت طيارات بدون طيار (الصاعقة) ولم تصنع إلا ١٠- ١٢ طيارة. هذه هي حقيقة التهويل الإيراني!!

(التحالف الوطني العراقي) الذي هو امتداد لفكرة أحمد الجلبي (البيت الشيعي) التي برزت بعد الاحتلال، وكانت من أنجح الأفكار التي جمعت قوى شيعية متنازعة في أيام المعارضة على هدف مشترك، وعلى عدو مشترك هو (البيت السني) المشتت، والذي رفض هذه الفكرة السنة من يومها وللآن!

وإيران اليوم بحاجة لتحالف شيعة العراق أن يترابط لمواجهة الصحوة السنية المتأخرة في تركيا والسعودية والتي برزت من خلال الثورة السورية، حتى أصبحت سوريا تشهد صراعا شيعيا – سنيا (تركياً - سعودياً)، وتخشى إيران من أن تكون الأرض العراقية مسرحًا آخر لصراع بوجه الوجود الإيراني في العراقي؛ فإيران تحاول أن تجعل شيعة العراق مترابطين وتبعد عنهم التشتت، وظهور المالكي كديكتاتور يضرها؛ لأنّه يخلق صراعًا شيعيًا - شيعيا من جديد، كما في أيام المعارضة، وإن كانت ديكتاتورية المالكي مفيدة في تحجيم وإقصاء السنة والكرد.

أمّا الورقة التي يراهن عليها المالكي ليكسب إيران لجانبه فهي تحقيق طلب قاسم سليماني قائد فيلق القدس بدعم نظام بشار بكل أنواع الدعم، والمالكي في الفترة السابقة دعم بشار لكن ليس على المستوى المطلوب إيرانيا؛ لذا فإن ورقة المالكي في زيارته الأخيرة لإيران كانت عروضا اقتصادية وعسكرية لنظام بشار.

هذا الأمر قد يجعل إيران تضغط في الداخل العراقي على التيار الصدري والحكيم للاستجابة للتعاون مع المالكي.

لكن مشكلة إيران أن علاقاتها مع آل الحكيم قديمة وإستراتيجية وهم قد خدموا الملف الإيراني أكثر من المالكي، وقيادات المجلس الأعلى لهم علاقات مع قيادات فيلق القدس، فتجاوز المالكي لكتلة الحكيم (المواطن) أمر صعب. والأمر الآخر أن المالكي أضرّ كثيرا في حقبة حكمه الأخيرة بالمصالح المالية لهذا التيار (الحكيم - الصدري) ورجاله الأثرياء، وبعض هؤلاء لهم ارتباط بأمريكا ولهم رغبة في أن تطيح أمريكا بالمالكي لبقاء مصالحهم الاقتصادية سارية المفعول.

لكن في نفس طلب إيران من المالكي دعم سوريا مزعج لأمريكا، لذا طلبت منه الكف عن ذلك مرارا وأن يكون على الحياد.

والمقلق اليوم للمالكي ولإيران أن أمريكا لزمت الصمت في دعم المالكي للولاية الثالثة أو رفضها، وهي تلاحظ بدقة ظهور كيانات من الميليشيات المتطرفة الشيعية، كأحزاب سياسية داعمة للمالكي مثل كتلة (صادقون) التابعة لعصائب أهل الحق، وكتلة (الوارثون) التابعة لحركة حزب الله في العراق، وهي مكونات ساهمت بضرب الأمريكان علنا والتصريح ضد أمريكا، والمالكي في السنة الأخيرة دعم هذه الفصائل ماليًا ومعنويًا.

يمكن تلخيص ما تريده إيران في هذه المرحلة في العراق بأنه يتمثل في وجود قائد شيعي قوي مقرب منها ولابد أن يكون من حزب ديني شيعي، ويحافظ على وحدة الصف الشيعي العراقي.

لكن إيران تقف دائما مع مصالحها لتضمن مكاسب عليا في الملفات الإقليمية لاسيما الملف السوري الذي ما زال مفتوحا على المجهول. كما أن إيران لا زالت تنتظر الموقف الأمريكي الغامض من ولاية المالكي الثالثة.

الأيام القادمة ستكشف - في حالة تعسّر ولادة الحكومة- عن وجود خلاف عميق بين الأطراف الشيعية نفسها من جهة، وبين دولة القانون والكرد من جهة أخرى، أما إذا فاز المالكي بولاية ثالثة أو تنازل بسرعة (وهذا غير متوقع) فيعني أن إيران نجحت بإقناع كل الأطراف الشيعية بما تريد.

شيعة مصر بعد ٣٠ يونيو..
غدا تتكشف الأسرار

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

كانت ولا تزال الخطوات التي اُتخذت لتوطيد العلاقات المصرية - الإيرانية في عهد الرئيس المصري المعزول الدكتور محمد مرسي أحد أهم الأسباب الرئيسة التي أثارت استياء وانتقاد قطاع كبير من معارضي الرئيس المصري فضلا عن مؤيديه انطلاقا من خشية هؤلاء من أن تكون مثل هذه السياسات المصرية الانفتاحية على الدولة الإيرانية فتحا للباب على مصراعيه أمام محاولات المد الشيعي التي لم تفتأ تكررها طهران لإقامة قاعدة شعبية داعمة لسياساتها ومواقفها في واحدة من أهم وأكبر الدول العربية والسنية وهو الموقف المتخوف والحذر الذي دعمته العديد من الشخصيات السياسية والفكرية فضلا عن بعض الاتجاهات الدينية التي كان بعضها ينطلق من مبدأ حسن النية والغيرة على أهل السنة والجماعة فيما كان يتعاطى معها البعض الآخر باعتباره أحد الحيل لفض دعم الإسلاميين من غير الإخوان عن مرسي وجماعته حتى تسهل خطة إسقاطه التي بدا أنه تم تنفيذها بدقة ونجاح غير مسبوقين.

ولعل الجهة الأخطر التي كانت وراء دعم هذا التوجه الحذر هي الأجهزة الأمنية المصرية التي يدرك الجميع أن لها موقفا حساسا من الشيعة والدولة الإيرانية تعود لآخر سنوات عهد الرئيس محمد أنور السادات (١٩٧٠ – ١٩٨١م) حيث تأزمت العلاقات المصرية الإيرانية على خلفية اندلاع الثورة الخمينية عام ١٩٧٩ وحديث قيادات هذه الثورة عن تصدير مبادئها للبلدان العربية والإسلامية، الأمر الذي أثار مخاوف وهواجس قيادات العديد من بلدان المنطقة.

لكن الموضوعية تفرض علينا في الوقت نفسه أيضا ضرورة الإشارة إلى أن هذه الحساسية الأمنية فيما يخص الموقف من الشيعة وإيران لم تكن هي المحرك الوحيد للأجهزة الأمنية في دعم مخاوف البعض من توجهات مرسي تجاه تطوير ملف العلاقات المصرية – الإيرانية إذ لم يكن يخلو الأمر أيضا من عدم رضى هذه الأجهزة على مرسي وجماعة الإخوان المسلمين لحسابات خاصة بهذه الأجهزة وهو الأمر الذي ينسجم إلى حد كبير مع ما لاحظه الجميع من تعاون وثيق بين هذه الأجهزة وبعض الشخصيات الشيعية النشطة والمعروفة إعلاميا من أجل إسقاط الرئيس الدكتور مرسي.

ولعل كثرة النماذج الدالة على هذا التعاون الوثيق فوق أن يتم حصرها غير أن أبرزها هو ما بات يعلمه الجميع من أن أحد المراكز الشيعية ويدعى «مصر الفاطمية» هو من استضاف المدعو محمود بدر «مؤسس حركة تمرد» ليكون هذا المركز نقطة انطلاقته في عمله من أجل جمع توقيعات الرافضين للرئيس المعزول محمد مرسي فضلا عن إعداد تظاهرات الاحتجاج ضده في الثلاثين من يونيو ٢٠١٣م والتي كانت الغطاء السياسي لما تبعه من تداعيات.

ولقد بات معلوما أيضا أن مؤسس حركة «تمرد» بل وأغلب قيادات الحركة – وباعترافاتهم أنفسهم فيما بعد - كانوا على اتصال مباشر ببعض الأجهزة الأمنية السيادية وأن كل خطوات الحركة كانت تتم وفق خطط مرسومة داخل هذه الأجهزة ما يعني أن أمر التعاون مع مركز شيعي أو

(*) كاتب مصري.

بعض الشيعة المصريين قد خطط له ولم يكن مجرد مصادفة.

في هذا الإطار فإننا نجد أنه من المشروع بل من المنطقي أن نتساءل وقد اقتربنا من مرور نحو عام بالكمال والتمام على إسقاط الرئيس الدكتور مرسي: هل تغيرت نظرة الأجهزة الأمنية المصرية بكافة مستوياتها إلى الشيعة وإيران أم أن أمر إثارة المخاوف زمن الدكتور مرسي وكما أشرنا ليس سوى وسيلة من وسائل التهييج والحشد المضاد؟

والحقيقة أنه وحتى يصبح التحري عن إجابة هذا التساؤل دقيقا إلى حد كبير نلفت النظر إلى أن تفسير موقف الأمن المصري يستدعي بالضرورة النظر في الحسابات الخاصة بالدولة الإيرانية وبشيعة الداخل المصري أيضا إذ أنه وعلى الرغم من أن هذا التقارب المصري الإيراني الذي حصل طيلة عام ولاية الدكتور مرسي ينسجم إلى درجة كبيرة مع موقف وفكر جماعة الإخوان المسلمين إلا أن الجماعة ومعها الرئيس مرسي لم يحظيا بالرضى الإيراني أو حتى رضى المجموعات المتشيعة المصرية وإن كان قد اختار كل طرف من الطرفين الزمن المناسب للتعبير عن هذا الرضى حيث آثرت إيران الدولة أن تخفي مواقفها من مرسي لما بعد أحداث الثلاثين من يونيو حيث تأكدت بما لا يدع مجالا للشك من انتهاء عصر مرسي فيما لم يتردد شيعة الداخل من الإعلان وبشكل صريح ومنذ اللحظة الأولى عن الانحياز الكامل لما أسموه بالموجة الثانية للثورة في ٣٠ يونيو فكان قيادات الشيعة في مقدمة صفوف المشاركين في تظاهرات الاحتجاج ضد مرسي.

وبعيدا عن مدى صحة الادعاءات التي روجتها الدولة الإيرانية أو رددها شيعة الداخل المصري من أن وجود الإخوان في الحكم لم يمثل حصن أمان حقيقي للشيعة المصريين ولم يحمهم من بطش متطرفي المذهب السني بل يزعمون أن الأمر كان على العكس من ذلك إذ يدّعون أن مرسي والإخوان أطلقوا أيدي هؤلاء المتطرفين للبطش بالشيعة بدليل ما حدث في زاوية أبو مسلم بمحافظة الجيزة حيث مقتل الشيعي حسن شحاتة ومعه عدد من أتباعه على يد العشرات من أهل القرية.

وبالطبع فإن ما ساقه الشيعة مبرر غير مقبول ذلك أن حادث أبو مسلم ووفق روايات الشهود والمشاركين فيه لم يكن قد تم التخطيط له فضلا عن أن الإخوان أو غيرهم من التنظيمات الإسلامية لا علاقة لهم بالحادث من قريب أو من بعيد ومن ثم فإن الموقف الإيراني ومعه موقف شيعة الداخل المصري يفسره أمران رئيسيان:

الأول: هو التخوف من نجاح تجربة الحكم الإسلامي عبر جماعة سنية وهو ما سيسقط أحلام الدولة الإيرانية وأتباعها في أن يظل تقديم النموذج الإيراني الشيعي للإسلاميين النشطاء باعتباره النموذج الناجح في العالم الإسلامي كله ما يكون ثغرة لاختراق العقول والأفهام.

الثاني: هو الموقف الصريح الذي أعلنه الدكتور مرسي من أحداث سوريا وتأكيده دعمه الكامل لجهاد الثوار السوريين من أجل إسقاط نظام بشار الأسد الأمر الذي مثل لإيران وأتباعها صدمة هائلة حيث العلاقة الإستراتيجية الوثيقة بين طهران ودمشق ونظام الأسد.

وقد دفعت هذه الأسباب الحقيقية القيادات الشيعية المصرية إلى أن يعلنوا بلا مواربة عن دعمهم وتأييدهم الكاملين للمرشح الرئاسي عبد الفتاح السيسي ذلك أن السيسي ومن خلفه الجيش المصري لا يتخذان نفس الموقف فيما يخص تطورات الأوضاع في سوريا وهو ما اعتبروه في حد ذاته مكسبا يصب في صالح بشار الأسد ومن معه.

أما فيما يخص تفسير علاقة الدولة المصرية الحالية بالشيعة المصريين وبالدولة الإيرانية فإن

الأمـر لا يبعـد كـثيرا عـن نفـس الأسـباب، فالتوجـه الجديـد للدولـة المـصرية سـواء فيمـا يتعلـق بـالموقف مـن نظـام الإخـوان ومـشروعهم الإسـلامي أو فيمـا يتعلـق بـالموقف مـن الأسـد والثـورة الـسورية يحتـاج إلى مـن يدعمـه علـى المـستوى الفكـري والثقـافي والـشعبي ومـن ثـم فـإن الأولويـة أن يـتم إرجـاء أيـة خلافـات أيدلوجيـة أو سياسـية في الوقـت الحـالي لحـين التعامـل مـع أقـوى الفرقـاء وأكـثرهم خطـورة وهـم جماعـة الإخـوان المـسلمين ثـم لا مـانع فيمـا بعـد مـن تـصفية الحسابات مع بعض الأطراف السياسية الأخرى.

ولا تنطلـق الدولـة المـصرية الحاليـة في موقفهـا مـن الثـورة الـسورية مـن حبهـا في الأسـد ونظامـه لكنهـا انطلقـت في ذلـك مـن كـون أن إفـشال الثـورة الـسورية وعـدم حـسم الأمـر لـصالح ثوارهـا هـو أحـد آليـات إقنـاع المـصريين بأهميـة التراجـع عـن مطالـب الثـورة المـصرية الـتي قامـت في ٢٠١١م بـدعوى أن الاسـتمرار في هـذا المسلك يعـني الـصراع وابتعـاد أمـل تحقيق الاستقرار في البلاد.

كمـا أن ثمـة أمـرا آخـر ربمـا يكـون أكثـر خطـورة إذ تـدرك الدولـة المـصرية جيـدا حجـم التوغـل الإيرانـي في مـصر بعـد أحـداث ثـورة ينـاير حيـث لم تكتـف إيـران بالتواصـل مـع القـريبين التقليـديين مـن طهـران والـذين بـاتوا أوراقـا محروقـة في الـداخل والخـارج ففتحـت إيـران قنـوات مـن الحـوار والتواصـل مـع عـدد مـن الشخـصيات الـسياسية والفكريـة النافـذة في الـبلاد، الأمـر الـذي صـعّب مـن مهمـة التعـاطي مـع ملـف الـشيعة في مـصر بـشكل أمـني بحت.

وقـد وصـل بـالبعض درجـة أن اعتـبر أن أغلـب مـن جـاءت بهـم أحـداث يونيـو ٢٠١٣ هـم مـن رجـال إيـران ومـن ذلـك مـثلا مـا حـذر منـه الـدكتور محمـد النجيمـي الأسـتاذ بالمعهـد العـالي للقـضاء وعـضو مجمـع فقهـاء الـشريعة بأمريكـا دول الخلـيج مـن تشيع قادة «الانقلاب» في مصر وخطورة ذلك عليها.

وقـال النجيمـي في عـدد مـن التغريـدات عـبر حـسابه علـى «تـويتر»: «البرادعـي شـيعي العقيـدة وحمـدين صـباحي صـديق حسن نـصر الله تمـده إيـران بــ ٤٤٠ مليـون ومؤسـس تمـرد شـيعي والببلاوي متـشيع ولا عزاء لدول الخليج .. أكلت يوم أكلت مصر».

وأضـاف: «لمـا صـلى البرادعـي مـسدلاً يديـه سـأله بعـضهم: هـل أصـبحت شـيعيا؟ فأجـاب: «إنـي سـني الهوية شيعي العقيدة ولا داعي لنكران عقيدتي».

وأوضـح أن البرادعـي يعلـن عـن تـشيعه فينتقـده النـاس فـرد علـيهم: المجـاهرة بـالحق مـن أجـل الحريـة والكرامـة والقـيم الإنـسانية ستـستمر مـا بقـي في العمر بقية والثورة ستنتصر.

وعلـى الـرغم مـن أن مثـل هـذا الكـلام يحتـاج للكـثير مـن التثبـت والاستقـصاء إلا أن ثمـة انعكاسـات واقعيـة تكـشف بالفعـل عـن اتـساع النفـوذ الإيرانـي في مـصر فمـثلا وفيمـا يخـص لجنـة الخمـسين الـتي قامـت بكتابـة الدسـتور الجديـد تم اختيـار اثـنين فقـط لتمثيـل التيـار الإسـلامي كـان أحـدهما الـدكتور كمـال الهلبـاوي المعـروف بقربـه مـن إيـران في حـين كـان أغلبيـة أعـضاء اللجنـة مـن ممثلـي التيـار القـومي والناصـري والـذين هـم أيـضا قريبون جدا من إيران.

أمـا علـى المـستوى الثقـافي والتعليمـي فقـد كـشف وليـد إسماعيـل مؤسـس ائـتلاف «المـسلمين للـدفاع عـن الآل والـصحب» المتخـصص في رصـد تحركـات الـشيعة في مـصر عـن معلومـات لديـه تفيـد بمخطـط لـدى الـشيعة بعـد الانقـلاب عـن طريـق الجمعيات الخيرية.

وأضـاف أن شـيعة مـصر أسـسوا جمعيـتين خيريـتين عـن طريـق القيـادي الـشيعي طـارق الهاشمي في الأيـام الماضـية، الأولى في الإسـكندرية وتحمـل اسـم «ثقلـين» مـشهرة بـرقم ٣٠٧٠ والثانيـة في أسـوان

باسم «الجمعية الجعفرية».

وأوضح أن الشيعة توجهوا للجمعيات الخيرية كستار ينشرون من خلاله منهجهم وذلك لأن الجمعيات الخيرية تتعامل مع فئة الفقراء والذين سيُغرونهم بكثرة أموالهم ومساعدتهم بتغيير ملّتهم للتشيع، فيما قال الباحث علاء السعيد إن لقطات فيديو مسجّلة كشفت عن تأسيس أول مدرسة شيعية في مصر تضم طلاباً وطالبات من عدة دول عربية وأجنبية منها الجزائر وقطر وإيران والولايات المتحدة وغيرها من الدول.

وقالت طالبة جزائرية في الفيديو الذي عرضه برنامج حواري على إحدى الفضائيات المصرية إنها جاءت من الجزائر لتلتحق بالمدرسة لأنها تؤمن بالمذهب الشيعي وملتزمة بتعاليمه حيث يؤدي الطلاب طقوسهم الدينية ويرددون الأناشيد الخاصة بهم أيضاً.

وقد تمادى النفوذ الشيعي إلى حد أن بدأ الشيعة في مصر في إقامة حسينيات، فوفق تقرير نشرته صحيفة الصباح التي كان يرأس تحريرها الإعلامي المصري المعروف وائل الإبراشي فإن خريطة الحسينيات ظهرت معالمها فى جنوب البلاد وشمالها بعد ٣٠ يونيو خاصة فى ظل انشغال قوات الأمن بأمور أخرى، ووجد الشيعة وعملاؤهم فى مصر أرضًا خصبة لاستكمال بناء حسينياتهم ومراكز التشيع والتوسع فى طباعة وتوزيع الكتب بل وإصدار بعض الصحف التى تخاطب أنصارهم وتوزيعها بالمجان.

وضرب التقرير مثلا بما حدث في مدينة الرحمانية في البحيرة حيث فوجئ أهالي المدينة بظهور مبنى يحمل اسم «الدسوقية المحمدية» بعد أن كان هذا المبنى مجهول الهوية حتى بعد انتهاء العمل به وهو مكون من ٦ طوابق ومقام على مساحة ما يقرب من ٥٠٠ متر بتكلفة مليوني جنيه

وكان البعض يتصور أن هذا المبنى هو أحد المصانع الكبيرة لكن الأهالى فوجئوا بأن المبنى يحمل اسم طريقة صوفية تحمل بين طياتها الكثير من المنتسبين للشيعة.

وأوضح التقرير أنه وبعد تقصى الأمر من جانب ائتلاف «أحفاد الصحابة» الذى يترأسه الشيخ ناصر رضوان اتضح أن وراء المبنى اثنان من أكبر الموالين للشيعة وإيران خاصة بعد ما حضر حفل الافتتاح الكثير من أقطاب الصوفية وبعض الإيرانيين مما يعكس أن من وراء المبنى وتشييده هم الشيعة.

وأضاف التقرير أن الغريب أنه صدر لهذا المبنى قرار إزالة إلا أن مسئولي المحافظة تغاضوا عن الأمر وعلى رأسهم رئيس مجلس مدينة الرحمانية الذى دعي لافتتاح المبنى وقد لبى الدعوة فورًا على الرغم من أن المبنى مخالف وقد صدر بحقه إزالة.

وكشف التقرير أنه أيضا وفي محافظة الشرقية اكتشف أهالي قرية «الإخيوة» مركز الحسينية بوجود مركز شيعي في القرية وتشيع بعض الأهالي بعد أن استغل الشيعة فقر معظم هؤلاء الأهالي وهناك قيادات شيعية مصرية تزورهم بشكل دائم منهم أحمد راسم النفيس القيادي الشيعي الأبرز في مصر.

وأخيرا فلعل في الإجابة التي رد بها القيادي الشيعي خالد كروم على أحد صحفيي صحيفة الدستور المصرية عندما سأله: هل وضع الشيعة أحسن بعد ٣٠ يونيو؟ فقال: إن وضعهم أفضل من وضعهم أيام جماعة الإخوان. إشارة إلى أن الأيام والأحداث المقبلة ستكشف عن كثير من الألغاز التي ربما لم تتكشف بعد حول تفاصيل ما شهدته مصر خلال السنوات الثلاث الأخيرة.

القاعدة تتجه إلى إفريقيا الوسطى

محمد خليفة صديق(*) – خاص بالراصد

مقدمة: إفريقيا الوسطى دولة إفريقية مغلقة أي بلا سواحل، حيث يبعد أقرب ساحل منها نحو ألف كيلو متر، وهو الساحل الشرقي في الكاميرون، وتقع في قلب القارة السمراء كما هو واضح من اسمها، تحدُّها دولة تشاد من الشمال، والسودان من الشمال الشرقي، ودولة جنوب السودان - المنفصلة قريباً عن السودان - من الشرق، ودولتا الكونغو الديمقراطية والكونغو من الجنوب، ودولة الكاميرون من الغرب، مساحتها تربو على ٦٢٢,٩٨٤ كيلو متراً مربعاً، فيما يبلغ عدد سكانها نحو خمسة ملايين نسمة موزعين على خارطة دينية، تنقسم إلى:



١ - مسلمين: نحو ٣٥ في المائة (ثلث السكان)، ويتركزون في شمال البلاد بالقرب من الحدود مع تشاد، وقد بالغ البعض حتى أوصل نسبتهم من ٥٠ إلى ٦٠ في المائة من إجمالي عدد السكان.

٢ - نصارى: ٥٠ في المائة، نصفهم من البروتستانت والنصف الآخر من الكاثوليك.

٣ - والبقية ديانات إفريقية تقليدية.

أبرز الملاحظات على المجتمع في إفريقيا الوسطى تميزه بالتنوع العرقي واللساني؛ حيث يتكوّن من ثمانين مجموعة عرقية يتواصل كلٌ منها بلسانها الخاص. ومن أكبر التجمعات العرقية في البلاد جماعات البايا والياكوما والباندا والمبكا والمبوم والماندجيا والفولا، إضافة إلى تجمعات أوروبية أخرى تنحدر من أصول فرنسية في الأغلب. كما يجمع بين سكانها عنصران زنجيان رئيسان، هما: البانتو والزنوج السودانيون؛ فمن البانتو: الماندا والبايا في غرب البلاد، والباندا والسر في الوسط والشرق، والأزندي والأوبنجي في الجنوب، ومن الزنوج السودانيين: القبائل التي تعيش في الشمال والشرق، وأما الجماعات المستعربة فتعيش في الشمال والشمال الشرقي، وهناك تداخل قبلي بين إفريقيا الوسطى والسودان ممثلة في قبيلة السلامات وقبائل أخرى صغيرة، ومن البربر جماعات البيل والبورورو الذين يسكنون المرتفعات غربي البلاد.

وينتشر الإسلام بين الجماعات المستعربة والبيل والبورورو من البربر، إضافة للجماعات القاطنة في منطقتي الشرق والوسط، فيما يكسب الإسلام كل يوم أنصاراً جدداً بين الجماعات الوثنية والنصارى.

(*) كاتب سوداني.

إلا أنه من الملاحظ أن العديد من الجماعات التنصيرية تنشط داخل البلاد، منها: جماعات لوثرية، ومعمدانية، وكاثوليكية، ومنصرون تابعون لكنائس النعمة الإخوانية، وآخرون من شهود يهوه. ويأتي هؤلاء المنصرون غالباً من فرنسا - التي برز دورها جلياً في أزمة البلاد الحالية - والولايات المتحدة الأمريكية وإسبانيا وإيطاليا، إلا أن هناك جماعات تنصيرية تتسرّب إلى الداخل من نيجيريا وجمهورية الكونغو ودول إفريقية أخرى، حيث النشاط التنصيري المحموم في عدد من دول الجوار، لا سيما أن الحدود الشرقية المتاخمة لحدود دولة جنوب السودان التي تعاني اضطراباً؛ بها نشاط تنصيري، لكن منطقة بحر الغزال بجنوب السودان المتاخمة لإفريقيا الوسطى بها وجود إسلامي مقدر سيما في مدن واو وأويل، وسط قبائل الفرتيت ودينكا أقار وغيرها.

تاريخ الإسلام في إفريقيا الوسطى:

وقد دخل الإسلام إلى إفريقيا الوسطى في القرن الخامس الهجري، وذلك عن طريق التأثر بالممالك الإسلامية المجاورة لها، مثل مملكة (كانم) التي قامت في شمال شرقي بحيرة تشاد، والتي وصلت إلى حالة من الازدهار والنهضة في ذلك القرن، فنشرت الإسلام في الأطراف الشمالية لإفريقيا الوسطى، ثم أخذ الإسلام بالانتشار فيها عن طريق كل من مملكة (برنو) الإسلامية - التي قامت في غربي بحيرة تشاد، ومملكة (باجرمي) - الواقعة في جنوب مملكة (كانم) - . ويعود الفضل إلى ملوك الباجرمي في بسط نفوذ الإسلام إلى مناطق الزنوج في إفريقيا الوسطى. أما النواحي الشرقية من إفريقيا الوسطى فدخلها الإسلام من جهة دارفور وكردفان وبحر الغزال بالسودان وجنوب السودان، حيث انتشر الإسلام بين أوساط جماعات اللاندا والزاندي والجماعات السودانية التي تعيش في شرقي البلاد، فيما ظل الإسلام يتمدد وينتشر بين الجماعات الوثنية بصورة جعلت منه الديانة الثانية بعد النصرانية.

ويعود الفضل لفرض السكينة على بحيرة تشاد؛ وتأسيس دولة كانم التى نشرت الإسلام ووقفت أمام الفرنسيين ٧ أعوام حتى ١٩٠٠م للقائد السوداني المسلم رابح فضل الله، وهو من قواد الزبير باشا رحمة، وانضم اليه في عام ١٨٧١م، ولمواهبه الحربية سلمه الزبير قيادة الجيش، وفي ١٨٨٤م توسعت مملكة رابح وبلغت ١٥٠ ألف كم، وتضم ٥ ملايين مسلم (تضم الآن أجزاء من إفريقيا الوسطى والكاميرون والنيجر ونيجيريا وتشاد).

في ١٨٩٠م التقى رابح فضل الله بقوات بول كرامبل الفرنسية التي كانت تستكشف أفريقيا الوسطى، وهزمه وقُتل كرامبل؛ واستولى رابح على معداته، وشجعه ذلك على الاتجاه غربا لنشر الإسلام في القبائل الوثنية، واتخذ من الشريعة الإسلامية أساس الحكم والقرآن دستوراً وأحيى السنة وأمات البدعة فاستتب الأمن، وأحبه الناس، وحاولت أوروبا استمالته فأصر على أنه لا علاقة بمن قاتلوهم في الدين إلا الجهاد، فخططت فرنسا لضم المنطقة والقضاء على رابح، وكانت دولة رابح العقبة الأولى أمام توسعات إنجلترا في نيجيريا، وفرنسا في وسط إفريقيا فكان القضاء عليه من أسس الإستراتيجية الأوربية آنذاك.

ومن المعارك المهمة لرابح فضل الله ضد فرنسا معركة تجباو، التى هَزم فيها رابح القوات الفرنسية وأبادها وقتل القائد الفرنسي بريتونيه، وكان من نتائج تلك المعركة أن انضم الكثير ممن كانوا يوالون فرنسا لجيش رابح، وصمم على إثرها إميل جنتل رئيس البعثة الفرنسية لأفريقيا الوسطى على الانتقام لكرامة فرنسا، فتقدمت فرنسا للمنطقة مجددا في ١٨٩٨م، للانتقام من رابح، وأصدر جنتل أوامره إلى الكابتن دوبيلو بالتقدم بثلاث فرق للقضاء على رابح، وفي ٢٨ أكتوبر ١٨٩٩م بدأت المعركة وسقط عدد كبير من الفرنسيين وحدثت خسائر فادحة في الفرقتين اللتين بدأتا المعركة التي استمرت ٨ ساعات، وفقد الفرنسيون عددا من أكفأ الضباط، وجرح روبيلو

جرحا خطيرا، وانسحب القائد الفرنسي.

ثم أصدرت فرنسا أوامرها إلى قواتها الأخرى في الجزائر بقيادة الضابط لامي بالتقدم نحو بحيرة تشاد؛ والانضمام إلى جنتل، وجمعت فرنسا قواتها في ٣ حملات ضد رابح في أواخر أبريل ١٩٠٠م، وتحركت الحملة الأولى من وسط أفريقيا، والثانية بقيادة جنتل من جنوب تشاد، ثم الثالثة بقيادة لامي في ١٩٠٠/٤/٢٢م، وكانت المعركة الأخيرة بقيادة لامي صمدت فيها القوات الإسلامية بقيادة رابح فضل الله، ونجحت في تحطيم الموجة الأولى من الهجوم، وحدثت خسائر فادحة في قوات فرنسا، لكن الفرنسيين عاودوا الهجوم واستولوا على حصن رابح، وحول الفرنسيون المدن إلى نيران وقتلوا الأطفال والشيوخ والنساء واندفع المسلمون بالسلاح الأبيض وبالأيدي العارية في كل شارع ومنزل، وواجهوا الجموع الفرنسية بشجاعة وإقدام.

أما رابح فبرغم ما أحاط بقواته لم يفقد الثقة بالله، ورفض الاستسلام فأعاد تنظيم ما بقي من قواته وعاود الهجوم على الحصن؛ الذي احتله الفرنسيون، واستطاع أن يقتل القائد الفرنسي لامي بطلقة في صدره، ثم استشهد في ١٩٠٠/٤/١٢م، وحين جيء برأس رابح إلى القائد جنتل انحنى أمام الرأس التي دوخت الفرنسيين، وقال إنه كان يود لو حماه من الموت لأنه يكنّ له كل احترام، وقد سجل تاريخ رابح ودولته ومعاركه مع فرنسا في تقارير رسمية محفوظة في دور الوثائق الأوربية والفرنسية.

ويرجع البعض حقد فرنسا الكبير على المسلمين في وسط إفريقيا لما ألحقه رابح فضل الله بقواتها قبل قرن من الزمان، مما جعلها تتخذ ذلك الموقف المخزي من مذابح ممنهجة ضد المسلمين هناك، بل لعبت دور المسهل والحامي للمليشيات المسيحية في قتلها البربري للمسلمين والتمثيل بهم وتهجيرهم من ديارهم.

كيف وصلت الأوضاع إلى هذه النقطة؟

يُعد رئيس إفريقيا الوسطى الأسبق فرانسو بوزيزي مفتاحاً لفهم طبيعة أبعاد ما يحدث في إفريقيا الوسطى، فبوزيزي كان رئيساً مسيحياً موالياً لفرنسا شأن من سبقه، وقد سبق له أن حصل على اللجوء السياسي لفرنسا مرتين: الأولى في بداية الثمانينيات من القرن الماضي، والأخرى في بداية التسعينيات، وقد استشرى الفساد في عهده، حيث كان حريصاً كل الحرص على تأمين نفسه من حمى الانقلابات الإفريقية، واعتمد في ذلك على ما لديه من خبرة عسكرية، مهملاً شؤون الدولة، ومتعمداً إضعاف جيش بلاده، إضافة إلى أنه سيطر على مناجم اليورانيوم والماس، ووزع ثروات البلاد على الحلفاء الفرنسيين والغربيين في الخارج كسباً لودهم وجلباً لدعمهم ضد المعارضة المسلحة المتمثلة في تحالف مقاتلي سيليكا التي بدأت تقوى ويشتد عودها في ذلك التوقيت، أما القشة التي قصمت ظهر البعير فتمثلت في انهيار اتفاق تقاسم السلطة الذي أُبرم في يناير من العام ٢٠١٣م والذي أفشله بوزيزي، حيث كان يقضي بالإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين ودمج عناصر التحالف في الجيش الوطني للدولة، وهو ما انتهكه بوزيزي ولم ينفذه.

ويتكوّن تحالف سيليكا من خمس مجموعات من الفصائل المقاتلة المعارضة للرئيس بوزيزي، يقدر عددها بنحو ٢٥ ألف مقاتل، منحدرين من الديانتين الإسلامية والنصرانية، كما تتوزع جنسياتهم ما بين الإفريقيين الأوسطيين والسودانيين والتشاديين، ولا يعرف عنهم انتماؤهم لجماعات إسلامية جهادية كما تشيع عنهم فرنسا أو يشاع عنهم في التقارير الغربية، وكان يقود التحالف ميشيل جوتوديا، الذي نجح في العام ٢٠١٣م في قيادة تحالف سيليكا (الذي أنشأه في العام ٢٠٠٥م) للإطاحة ببوزيزي وتوليه سدة الحكم بعدما سيطرت قوات التحالف على القصر الرئاسي في شهر مارس وفرار بوزيزي إلى الكاميرون، إثر أشهُر من القتال بين التحالف وبين الميليشيا النصرانية الموالية لبوزيزي والمسماة (أنتى بالاكا)

أو (مناهضي السواطير).

وفي سبتمبر ٢٠١٣م أعلن جوتوديا رسمياً حلَّ تحالف «سيليكا»، واتخذ خطوات جادة لدمج مقاتلي التحالف في الجيش، فيما بقيت بعض قوات التحالف محتفظة بقياداتها وبتماسكها. وفي ديسمبر من العام نفسه نزعت القوات الفرنسية - بالتعاون مع القوات الإفريقية الموجودة في البلاد - أسلحة أكثر من سبعة آلاف من مقاتلي التحالف ووضعتهم في ثكنات مختلفة بالعاصمة، وهو ما أشعل الأجواء من جديد، حيث كان ينظر المسلمون إلى تلك القوات على أنها حماية لهم من اعتداءات الميليشيات النصرانية، فخرج المسلمون في احتجاجات بشوارع العاصمة منددين بالانحياز الفرنسي ضدهم لحساب مناهضي بالاكا، في مظاهر أشبه ما تكون بالثورة الشعبية، وأقاموا الحواجز بالحجارة وإطارات السيارات احتجاجاً على انتشار القوات الفرنسية التي وصفوها بالمحتلة.

وكان من نتيجة ذلك أن استنجد بوزيزي بالفرنسيين والأمريكيين للتصدي لقوات التحالف، إلا أن الأمر جوبه بالرفض الفرنسي الصريح، وأكد الرئيس فرنسوا هولاند أنه لن يتم استخدام الجنود الفرنسيين المتمركزين في البلاد للدفاع عن حكومة بوزيزي. ويبدو أن التقارب الاقتصادي الذي أجراه بوزيزي بين بلاده والصين والولايات المتحدة الأمريكية على حساب فرنسا، ومحاولاته تغيير حرسه الموالين لفرنسا بآخرين من جنوب إفريقيا؛ كان أحد أسباب تخلي فرنسا عنه في هذا الموقف.

إلا أن خروج الأمر عن أيدي فرنسا وسقوط البلاد في يد جوتوديا وتحالف سيليكا ذي الأغلبية الإسلامية صدم فرنسا، فأشعلت نار الفتنة بين المسلمين والنصارى، تلك النار التي لم يكن يعرفها تاريخ هذا المجتمع المسالم، فتحركت لدعم وتشجيع مناهضي السواطير للتحرك ضد المسلمين بهذه الصورة الفجة والدموية، وسحب سلاح سيليكا؛ الأمر الذي أضعف من قدرتهم أمام الميليشيا النصرانية، إضافة إلى الدفع بـ ٤٠٠ جندي فرنسي جدد ليصل عدد جنودها هناك إلى ألفي جندي، ورغم هذا العدد الهائل فإن المنظمات الدولية تتهم قوات حفظ السلام بالتقاعس عن أداء مهامها في تأمين المسلمين وحمايتهم، بل عدم كسر هيمنة الميليشيات النصرانية التي تهاجم المسلمين يومياً.

وبالنظر إلى حجم المجازر اليومية التي تلحق بالمسلمين وقتل الآلاف منهم حتى الآن، وبالنظر إلى دمويتها وبشاعتها، واستهدافها للمساجد ودور العبادة الإسلامية فقط، وفرار عشرات الآلاف من المسلمين إلى دول الجوار هرباً من مجازر الميليشيات النصرانية؛ تظهر طبيعة الصراع الديني في المشهد؛ فالمطامع الاقتصادية والمادية التي تحرّك الغرب في كثير من مؤامراته، كانت تصحبها على المدى التاريخي مطامع أخرى دينية منذ الحروب الصليبية على الشرق، وانتهاءً بالأوضاع الحالية في بلاد الإسلام، والصراعان لا يتجزآن، بل ربما يفوق العداء الديني والثارات التي يحتجزها الغرب في صدره أيَّ عداء آخر، فالفتوحات الإسلامية التي طالت قلب أوروبا حتى وصلت إلى فرنسا نفسها وإلى أبواب باريس، هذه الفتوحات لم ينسها الغرب، بل كانت حاضرة في ذهنه يوماً بعد يوم، بدءاً بطرد المسلمين من الأندلس، مروراً بالحرب على العراق وأفغانستان، وانتهاءً بالوضع في مالي وإفريقيا الوسطى وغيرهما، فقد كان الصليب حاضراً ومهيمناً ومسيطراً.

الرؤية الغربية لصراع إفريقيا الوسطى:

هذا يجيبنا عنه معهد جيتستون (Gatestone Institute) الذي يتخذ من مدينة نيويورك مقراً له، ويرأسه جون بولتون المثلُ الدائم الأسبق للولايات المتحدة في الأمم المتحدة، وقد نشر هذا المعهد في الثالث من فبراير من العام الحالي ٢٠١٤م مقالاً بعنوان «جمهورية إفريقيا الوسطى وتوغل الإسلام جنوباً»؛ لكاتبه لورنس فرانكلين وهو كاثوليكيٌّ إيرلندي وعقيد سابق عمل من قبل بالملحقية العسكرية الأمريكية في إسرائيل،

وكان مسؤولاً عن الشؤون الإيرانية في وزارة الدفاع الأمريكية في عهد الرئيس بوش الأب، كما أنه باحث دكتوراه في الدراسات الآسيوية.

يصف فرانكلين في بداية مقاله دوافع الخلاف في إفريقيا الوسطى والأطراف المتنازعة وردود الأفعال، فيقول: «عندما قام ثوار سيليكا المسلمون في جمهورية إفريقيا الوسطى باقتحام الجنوب لانتزاع العاصمة بانغي، وخلعوا الرئيس فرنسوا بوزيزيه في شهر مارس من عام ٢٠١٣؛ لم تلقَ الحادثة كبير عناية في الإعلام الغربي. لكن الجانب الذي لا يريد الإعلام أن يراه هو أن هجوم تحالف سيليكا يخدم بلا قصد هجمة واسعة من قبل متطرفين مسلمين لتوسيع دائرة النفوذ الإسلامي إلى قلب دول إفريقيا الواقعة جنوب الصحراء الكبرى».

فالنزاع وفقاً للكاتب ليس إلا محاولة من قبل جماعات إسلامية متطرفة لفتح البلاد غير المسلمة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى؛ فانتزاع السلطة من قبل تحالف سيليكا المسلم – إذا ما دُرس في سياقه التاريخي – يؤكد النشاط المستمر للتنافس الشامل في إفريقيا بين حملات التنصير والإسلام الجهادي.

ثم يستمر الكاتب ليقدم لنا خلفية تاريخية عن أسباب توقف الفتوحات الإسلامية في وسط إفريقيا، وكيف أن الطبيعة الجغرافية حالت دون اكتساحها من قبل الفاتحين كما حصل لدول الشمال الإفريقي. كما أن الجماعات الإثنيَّة الإفريقية في الكونغو وجنوب السودان وإفريقيا الوسطى قاومت الزحف القادم، لا سيما بعد أن تلقت الدعم من قبل الكنيسة الكاثوليكية في روما منذ القرن الخامس عشر.

ويرى الكاتب أن الإسلام هو محاولة لطمس الهوية الإفريقية لتحل محلها الهوية الإسلامية؛ لكن الذي أعاق الحماس المتجدد لنشر الإسلام في إفريقيا عاملان رئيسان: «أولهما: سرعة استعمار القارة الإفريقية من قبل القوى الإمبريالية الأوروبية المتنافسة. والعامل الآخَر: حقيقة أن حملة التنصير التي قادتها الفاتيكان في وسط وجنوب إفريقيا كانت أساساً متيناً لما بعدها».

ويخلص الكاتب الى أن الصراع الديني من أجل القارة الإفريقية مستمر، والتنافس على كسب المعتنِقين، والقتال من أجل الهيمنة الروحية؛ واضحٌ بشكل وحشي في بلدانٍ إفريقية عديدة».

القاعدة والدور المرتقب في إفريقيا الوسطى:

ظلت القاعدة بتنظيماتها المتعددة تتابع عن كثب التطورات في إفريقيا الوسطى، ومعلوم أن القاعدة يسيل لعابها في كل الدول التي يحدث بها تدخل أجنبي غربي، وليس ذلك على إطلاقه، فهي لم تتدخل في ليبيا أواخر عهد القذافي ولم يكن لها وجود في دارفور، وغير ذلك.

من أهم البيانات التي أصدرتها القاعدة بشأن إفريقيا الوسطى، بيانها الذي عنونت له بـ: (مأساة إفريقيا الوسطى .. بين مكر الصليبيين وخذلان المسلمين)؛ حيث وصفت ما يجري هناك بأنه فاجعة من أبشع الفواجع، ومأساة جسيمة وحلقة جديدة من مسلسل الحرب الصليبية الحاقدة على الإسلام وأهله أينما كانوا، .. حلقة تُدار فصولها في قلب القارة الإفريقية، مجازر وحشية، وتهجير جماعي، وتطهير عرقي وطائفي ممنهج ومدروس، تمارسه الصليبية العالمية بأيدي محلية ودولية.

ووصف البيان ما جرى للمسلمين في إفريقيا الوسطى بأنه تطهير عرقي وطائفي بكل المقاييس، بل إنها أسوأ عملية تطهير عرقي ضد المسلمين في تاريخ البلاد، كما جاء في تقارير منظمة العفو الدولية.

ولفت البيان للدور الفرنسي القذر في تأجيج هذا الصراع وترجيحه لصالح نصارى المنطقة؛ حيث قامت فرنسا بشكل مدروس وسافر في ظل مخاوفها التاريخية من المد الإسلامي بتجريد المسلمين من سلاحهم، وفي المقابل دعم النصارى،

ليخرج الصراع عن نمطه العرقي الشائع، وعن توازن كفّتيه، من مجرد مناوشات هنا وهناك، إلى حملة فرنكوصليبية حاقدة على الإسلام والمسلمين، مشيرا الى أن فرنسا الصليبية الاستعمارية الحاقدة، التي كانت عبر التاريخ ولا زالت تلعب دور الوصي على القارة الإفريقية، وتعامل دولها معاملتها لمستعمراتها القديمة، في استعباد العباد، وتأجيج الصراعات وإثارة النعرات ونهب الثروات، من أجل الحفاظ على مصالحها، وإشباع نزواتها الاستكبارية.

واستنكر بيان تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي المجازر الوحشية ضد المسلمين وأدانها ورفضها، مشيرا الى أن قلوب المجاهدين مع مسلمي إفريقيا الوسطى تتألم لمصابهم وتتوق لنصرتهم بما تملك.. في المغرب الإسلامي، والصومال، والعراق، والشام، وأفغانستان، وفلسطين والشيشان، وقال البيان: «لستم ضعفاء.. فأنتم أبناء أمة مسلمة عزيزة أبيّة، خضعت وذلّت لها القياصرة والأكاسرة من الفرس والروم قديما، وسقت السمّ الزعاف للروس والأمريكان حديثا. ونقول لهم.. ثقوا - بإذن الله - بأن دماءكم لن تذهب هدرا، وبأننا سنبذل كل ما في وسعنا لنصرتكم، وللثأر من عصابات الشر والإجرام قتلةِ الأطفال والنساء والشيوخ.

وتلا هذا البيان، بيان آخر من تنظيم له صلة وثيقة بالقاعدة هو أنصار الشريعة بتونس، والذى عنون لبيان بـ (إفريقيا الوسطى .. تطهير باسم الصليب الذهبي).

يلاحظ أن لغة البيانين متقاربة، مما يشير للتقارب الفكري للتنظيمين، واحتوى البيانان على دعوة صريحة لمنازلة فرنسا وحلفائها على أرض إفريقيا الوسطى، واستهداف مصالحها وقتالها، مما قد يشير الى أن كثيرا ممن يحملون أفكار القاعدة سيحاولون عبور الحدود، وصولاً إلى إفريقيا الوسطى، ولعل القرب الجغرافي النسبي لهذا البلد من عدة بلاد بها وجود مقدر لتنظيم القاعدة يؤكد أن القاعدة جادة في التحرك إلى هناك، ولعل ذلك سيلحق ضرراً بليغاً بتنظيم (سيليكا) الذى يضم المسلمين هناك؛ إذا ماقرر تبني أطروحات القاعدة، ولعله ليس له سبيل غير ذلك، فلا توجد حتى الآن أي تحركات إسلامية جادة، غير الجهود الإغاثية المحدودة وبيانات الشجب والإدانة، وتعيين منظمة التعاون الإسلامي لمبعوث لها لإفريقيا الوسطى.

ويبدو أن القاعدة جادة في نقل عملياتها إلى إفريقيا الوسطى، فقد أكدت في بيانها أنها ستبذل كل ما في وسعها لنصرة المسلمين هناك، وستثأر من عصابات الشر والإجرام قتلة الأطفال والنساء والشيوخ، كما تريد القاعدة أن تشاركها شعوب إفريقيا حيث طالبها البيان بالثأر من فرنسا، وألا ينسوا ماضيها الاستعماري، ونهبها المتواصل لخيرات وثروات إفريقيا، وتلاعبها بأمن واستقرار شعوب القارة.

ويبدو أن القاعدة ستستمر في إستراتيجيتها في استهداف المصالح الغربية باعتبارها أهدافا سهلة، حيث دعت من خلال بيانها لاستهداف هذه المصالح الأوربية والفرنسية تحديداً المنتشرة في طول بلدان إفريقيا وعرضها، حيث يرى البيان أن فرنسا أحرص على مصالحها من دماء وأرواح مواطنيها فضلا عن أرواح غيرهم، ولكن الخبرة التاريخية لجهود القاعدة في القارة الأفريقية وغيرها أنها جهود مدمرة للواقع الإسلامي، حيث تفتح الباب واسعاً أمام التدخل الأجنبي بحجة مكافحة الإرهاب، وتصيب المجتمع والبيئة الإسلامية بالدمار تحت ذريعة تطهير الصف الإسلامي من المنافقين والمرتدين، وهو ما يساهم بقوة في تحقيق أهداف أعداء الإسلام في أفريقيا!!

ميليشيا الإلحاد...
مدخل لفهم الإلحاد الجديد

د. عبد الله بن صالح العجيري

عرض: أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

لعل هذا الكتاب من أفضل الكتب المعاصرة التي اطلعتُ عليها وتناولت النوازل العقدية المعاصرة، فهو سهل العبارة، عميق الفكرة، شامل الإحاطة بالموضوع مع أهمية القضية المطروقة، ويضاف لهذا ميزة الاستشراف والمبادرة للتصدي لهذه الظاهرة الوافدة قبل أن يشتد عودها ويتجذر شرها في زمن العولمة بعامة وفوضى الثورات المضادة مما وفر مناخاً مناسباً للتمدد تحت ستار محاربة الإرهاب والتطرف!

مما جعل الكتاب متميزاً أيضاً، سعة اطلاع المؤلف على الموضوع وإصدارات الملاحدة باللغة الإنجليزية، فجنب الكتاب من نقص الأدلة من جهة، ومن نقص قدم الوقائع، وجعل الكتاب مواكباً للحظة الزمنية في منبعها في الغرب وفي انعكاساتها في مجتمعاتنا العربية.

الكتاب من إصدار مركز (تكوين)، وصدر في بداية عام ٢٠١٤، وهو يقع في ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير، ويتكون من بابين أساسيين وثلاثة ملاحق.

في الباب الأول تناول التعريف بموجة الإلحاد الجديد، التي عرفت بهذا الاسم سنة ٢٠٠٦م في مقالة لجيري وولف، وذلك عبر عرض سِماتها وخصائصها، والمقصود بالإلحاد الجديد هو أسلوب تيار من الملحدين في تبني الإلحاد وعرضه وطريقة تعاملهم مع المتدينين بل والملحدين القدماء!

(*) كاتب أردني.

حيث كشف د.العجيري عن تحول الإلحاد من قضية فردية إلى تشكيل ميليشيات إلحادية فكرية منظمة على إثر أحداث ٩/١١ في أمريكا، على اعتبار أن هذا الحادث كان الدين هو الدافع خلفه، وأنه حان الوقت لمحاربة الدين منبع الشرور، وعدم الاكتفاء بتخطئة الدين كحال الإلحاد القديم!!

وقد تميز الإلحاد الجديد بست سمات:

الأولى: الحماسة في الدعوة للإلحاد بعدما كان الإلحاد شأناً ذاتياً، ومن مظاهر هذه الحماسة للدعوة للإلحاد تأليف سيل من الكتب الإلحادية وتصدرها قوائم الكتب الأكثر مبيعا، ولم تنجُ كتب الأطفال من هذه الموجة حيث كتبت عدة مؤلفات إلحادية للأطفال والمراهقين، وأيضا امتدت هذه الموجة للبرامج الفضائية والإذاعية وحتى برامج رسوم الأطفال طالتها هذه الموجة. وتوج ذلك بظهور عدة مؤسسات للملحدين ترعى هذه الدعوة وتعمل الدعاية لها من خلال اللوحات الإعلانية على الطرقات أو المنتجات المختلفة من الملابس والأدوات.

والسمة **الثانية**: عدائية الخطاب، حتى قال أحدهم: (ذهبت أيام الإلحاد المؤدب)، وذلك باستخدام أبشع الصفات والنعوت تجاه المقدسات، وما نراه في كتابات بعض الملحدين العرب هو انعكاس لتلك الروح العدائية، وهذه العدائية من نقاط الخلاف بين الملاحدة الجدد والقدماء المعترضين على المبالغة في الإهانة والاستهزاء بالمتدينين.

السمة **الثالثة**: استعمال أداة الإرهاب في حرب الأديان، وذلك بربط كل المشاكل والشرور في العالم بمتدينين كانوا وراءها، ومن ثم الخروج بقانون (كل الشرور دينية)، لدرجة أنهم اعتبروا الاتحاد السوفييتي متدينا ولذلك كان متخلفا ثم انهار!

السمة **الرابعة**: الهجوم اللاذع على دين الإسلام، فبرغم أن الإلحاد الجديد ظهر في الغرب وهو يصطدم بشكل أساسي مع المسيحية، إلا أنهم يخصّون الإسلام بقدر خاص من عدائهم وعدوانهم، ولذلك تنتشر في إصداراتهم الطعن بالمصطلحات الإسلامية، وأيضاً تجد احتفاءهم المبالغ فيه برموز الإلحاد الإسلامية مثل آيان هرسي المرتدة الصومالية، وحمزة كاشغري السعودي.

السمة **الخامسة**: هي جاذبية الإلحاد الجديد، فعلى عكس الإلحاد القديم الذي كان يقوم على جانب فلسفي ونظري، فإن الإلحاد الجديد أصبح موضة، وأصبح لرموزه معجبون وعشاق يتابعون أخبارهم ويعلقون صورهم ويطلبون توقيعاتهم، مما جعل الحالة تكاد تصل للتقديس أو علاقة المريد بشيخه!

السمة **السادسة**: المغالاة الشديدة في قبول العلوم الطبيعية التجريبية، حتى وصلت هذه المغالاة لدرجة الهوس والخرافة والدوغمائية، والتي ألحدوا هروبا منها عند المتدينين! ويمثل هذا بتحميل العلم ما لم يثبت بعد لتقرير إلحادهم.

وبعد عرض هذه السمات الست للإلحاد الجديد، اقترب د.العجيري بعدسته من المجتمع المحلي (السعودي) ليشخص انطباعه عن حال الإلحاد المحلي، وهنا يتفق المؤلف وغيره من الباحثين على وجود مشكلة حقيقية في المجتمع السعودي وغيره من المجتمعات العربية من وجود شباب وشابات متأثرين بالإلحاد بشكل كامل أو جزئي، وبعيدا عن حجم الظاهرة والتي لا جواب علمي لها، إلا أن العجيري ينبّه على أن هذه الظاهرة لا تقدر بالحجم بل بالكيف، فخطورتها من كيفيتها وموضوعها وليس من عددها وحجمها،

وهو تنبيه مهم وفي مكانه، فبغضّ النظر عن حجم هؤلاء الضحايا إلا أن القضية مركزية وتستحق كل عناية واهتمام.

وأيضا يجب التنبه لسقوط حاجز اللغة الذي كان يحول بين وصول هذه الأفكار الهدامة إلى شبابنا وشاباتنا وذلك بسبب مكر شياطين الإنس الذين يترجمون هذه الكتب والبرامج في وقت قصير، ولا يقتصر هذا على جهود مؤسسات تجارية فردية كدار الساقي مثلاً، بل تشارك في الجريمة مؤسسات رسمية وحكومية في ترجمة كتب الإلحاد مثل الهيئة المصرية العامة للكتاب، ومؤسسة كلمة في أبو ظبي.

الباب الثاني خصصه المؤلف لعلاج ومكافحة الإلحاد وبشكل أدق لما يجب أن يتصف به العلاج، وأما مبررات الاهتمام بالعلاج فهي أربعة مبررات بحسب د. العجيري: أن الملحدين هم جزء من أهم الواجب علينا دعوتهم، وأن هناك جاليات إسلامية تعيش في الغرب تحتك بهؤلاء الملاحدة فوجب حمايتهم وصيانتهم، وأن الإلحاد أصابنا وقد تزداد خطورته في المستقبل علينا، وأن المتصدي الأكبر للإلحاد هم نصارى، والنصرانية بذاتها سبب للإلحاد لمصادمتها للفطرة والعقل والمنطق في بعض أسسها، مما يجعل الإلحاد ينتصر في بعض الأحيان.

يحدد د. العجيري بعض الضوابط المطلوبة للاشتباك والعلاج لظاهرة الإلحاد تتمثل في:

- ضرورة تحري الصدق والعدل والموضوعية في تناول الإلحاد، لأن هذا أدعى للقبول وحتى لا يكون هذا مدخلا للطعن على الإسلام.
- عدم تسطيح الظاهرة الإلحادية، وذلك بعدم فهم شبهة الملحد والاجابة بجواب ناقص.
- تجديد الخطاب العقدي لعلاج الإلحاد، لأن الإلحاد المعاصر تطور عن الإلحاد القديم، وأصبح يعتمد على ركائز جديدة، لا يصلح معها العلاج القديم، ولابد من الاستفادة من العلوم العصرية لإبطال شبه الملاحدة، وهنا يستعيد د. العجيري أطروحة شيخ الإسلام ابن تيمية (موافقة صحيح المنقول مع صريح المعقول)، لنفي تعارض العلم التجريبي الثابت مع النقل الثابت.
- ضرورة تقديم رؤى نقدية هجومية للإلحاد، وعدم الاكتفاء بالدفاع، لأن الإسلام والإيمان هما الحق، والإلحاد هو الباطل، ومن أبرز نقاط ضعف الإلحاد غياب مرتكز الأخلاق في منطقه، فالإلحاد لا منطق له في وجود الأخلاق وهذا مخالف لكل الفطر والعقول السوية.
- تأصيل المنهج الشرعي للتعامل مع الشبه، حتى لا يقع الضرر ويتأثر المسلم بالشبهات بدلا من نقضها.
- ترسيخ الحضور القرآني في قضايانا الفكرية، وهو ملمح مهم يعطي المسلم قوة عقدية في طرحه ويعيد الدور الرسالي للمسلمين لإنقاذ العالم والبشرية.

وأضاف المؤلف لكتابه ثلاثة ملاحق، هي: مقالة مطولة للشيخ عائض الدوسري تناولت غزو الإلحاد للسعودية، ومقالة للشيخ سلطان العميري تستعرض أهم المؤلفات الناقدة للإلحاد، وقائمة بالمراجع الغربية المتعلقة بالإلحاد الجديد.

لا دين ولا خلق

قالوا: قامت الحكومة الإيرانية بإغراء المهاجرين الأفغان فيها بالسفر لسوريا والمشاركة في الدفاع عن نظام بشار عن طريق استغلال سوء أوضاعهم المادية ودفع راتب شهري للفرد منهم قيمته ٥٠٠ دولار، فضلا عن توفير فرص تعليم لأبنائهم.

وول ستريت جورنال ٢٠١٤/٥/١٩

هكذا يفكر الأمريكان

قالوا: في الحقيقة لا يوجد تنظيمات شيعية تستهدف الولايات المتحدة سوى ما فعله حزب الله في بداية تأسيسه في الثمانينات، لكنه لاحقاً ابتعد عن استهداف الولايات المتحدة سوى بالكلام، وهذه أمور يمكن تفهمها، فسياسة الولايات المتحدة براغماتية بهذا الشأن، ولا يهمها الكلام بقدر ما يهمها الفعل، وهذا الأمر يشمل إيران ذاتها، فبينما هناك جماعات تستعدي الولايات المتحدة على أراضيها إلا أن رئيسهم الحالي لاريجاني، وقبله خاتمي أتوا إلى هنا وقدموا أنفسهم كشركاء ومفاوضين، وهذا الأمر يستهوي الإدارة الأمريكية سيما إذا كانت ديمقراطية، في حين أن التنظيمات السنّيّة لا تخفي عداءها الواضح للولايات المتحدة، وقد استهدفتها مراراً سواء هنا على الأراضي الأمريكية أو سفاراتها حول العالم.

مشكلة الإرهاب (السنّي) أنه حقيقي ضد الغرب، بينما (الشيعي) فقط للاستخدام السياسي، خلال حرب العراق رفع شيعة البصرة العلم الأمريكي بينما كان سنة بغداد يحرقونه، واليوم يتكرر المشهد، فسنّة الأنبار يستهدفون أمريكا والمالكي (الشيعي) في ذات الوقت، كما أننا لم نجد أحداً يرفع العلم الأمريكي في الثورات العربية بل رأيناهم يحرقونه أيضاً، وهو ما يعطي الانطباع بأن (السنة) هم الخصوم الحقيقيون، قد لا يعجبك هذا التقييم، لكن الأمور تتم كذلك، اليوم تستقبل الولايات المتحدة آلاف الطلبة من إيران والعالم العربي، وفي حين أن أي طالب إيراني أو شيعي لم يقم بأي إساءة هنا، إلا أنه توجد أكثر من ٣٠ حالة لطلاب (سنّة) من العرب أو القوقاز قاموا أو فكروا بالقيام بأعمال إرهابية داخل الولايات المتحدة، يجب أن تفهم أن الأمور تنطلق من هنا...

صحفي أمريكي في حوار مع إياد شربجي - صفحة إياد على الفيس بوك

هكذا يفكر الرئيس المحتمل لأفغانستان

قالوا: رأيت عبد الله عبد الله عند الرئيس رفيق الحريري في ربيع عام ٢٠٠٤. وكان وقتها ما يزال وزيرا لخارجية أفغانستان. وقد تحدث مطولا عن إجرام طالبان، وسوء السياسة الباكستانية تجاه أفغانستان. إنما البارز في حديثه كان عن «السياسة البناءة» لإيران في سائر أنحاء المنطقة. وقال مبتسما: «الأميركيون جيدون، لكنهم ذاهبون، وإيران باقية في المنطقة إلى جوارنا، ولذا ينبغي العمل على كسْب التعاون معها. وفي أفغانستان كما في العراق ولبنان.

رضوان السيد – الشرق الأوسط ٢٠١٤/٥/٩

هكذا يعمل اللوبي الإيراني في البيت الأبيض

قالوا: إدارة أوباما لا تخالف الكونغرس في توجسه من إيران وحلفائها في المنطقة فحسب، بل هي تدعو أيضا إلى تحالف واشنطن مع طهران في مواجهة «الإرهاب»، لأن في ذلك مصلحة الولايات المتحدة.

وكان لافتا في هذا السياق المقال الذي نشرته

صحيفة «نيويورك تايمز» بقلم جوناثان ستيفنز، وهو سبق أن عمل حتى العام الماضي كمسؤول في شؤون الشرق الأوسط في «مجلس الأمن القومي».

في مقالته، التي تعكس إلى حد كبير تفكير أوباما وفريقه، كتب ستيفنز: «أعجبكم أم لا، في الوقت الحالي، يشكل نظام (الرئيس السوري بشار) الأسد وخصوم الولايات المتحدة الشيعة إيران وحزب الله أفضل مضاد للمجموعات الجهادية العابرة للدول، (هذه المجموعات) التي تستجمع قواها في سورية وفي جوارها والتي تكسب المزيد من القوة».

و«ستيفنز» ليس وحيدا داخل إدارة أوباما ممن يعتقدون أن الصداقة مع إيران الشيعية هي في مصلحة الولايات المتحدة، خصوصا فيما يتعلق بمواجهة المجموعات السنية «المتطرفة»، وليس «ستيفنز» أكثر المؤيدين للأسد أو «حزب الله»، إذ داخل «مجلس الأمن القومي» الأميركي الحالي أعضاء ممن سبق أن التقوا الأسد في دمشق مراراً ومعروف عنهم تأييدهم له ولبقائه في الحكم حتى اليوم.

حسين. ع – موقع العصر ٢٠١٤/٥/٢٤

التلاعب الإيراني بالقاعدة قديم

قالوا: إيران تدرك ماذا تفعل، وبالتالي هناك عقل استراتيجي وفق رؤية كلية «والجميع يعرف أن إيران تعاونت مع أميركا على إسقاط طالبان ونظام صدام حسين وكانت من أكبر المستفيدين من ذلك». وقال «عقدت إيران نوعا من التحالفات على الرغم من الآيديولوجية الفكرية مع تنظيم القاعدة الأم في أفغانستان، وكانت هناك علاقات بين (القاعدة) ومجموعة من القيادات في إيران، وكان تستر طهران على تلك الجماعات لخلق أسباب وشروط سياسية».

وأضاف «إيران لها خبرة طويلة وكبيرة في إدارة ملف (القاعدة)، وتستطيع أحيانا أن توجه أو تتلاعب في هذا الأمر».

حسن أبو هنية، الشرق الأوسط ٢٠١٤/٥/٨

ضلال وكيف!

قالوا: متعاطو المشروبات الكحولية في إيران يستهلكون سنوياً ٢٥ ليترا من الكحول لكل شخص، وهذا الرقم هو ضعف استهلاك الكحول لمتعاطي الكحول في الولايات المتحدة الأميركية وحتى أكثر من روسيا.

وأفاد تقرير لمنظمة الصحة العالمية بأن إيران تأتي في المرتبة التاسعة عشرة بين أكثر الدول استهلاكا للكحول.

كما كشف تقرير آخر عن زيادة في معدل استهلاك المخدرات في إيران بحوالي ٥٠ في المائة عن ذي قبل.

مفكرة الإسلام ٢٠١٤/٥/٢٠

اعتراف شجاع

قالوا: هل سمعتم من قبل عن أحزاب وحركات «ليبرالية» تصمت في بعض الأحيان عن انتهاكات حقوق الإنسان والحريات وفي أحيان أخرى تبررها، بل وتدافع عنها وتفخر بها ما دامت تطول المختلفين معها؟ فقط في مصر.

هل سمعتم من قبل عن أحزاب وحركات «ليبرالية» تروج بشراسة لتجاهل مقتضيات سيادة القانون ولأولوية «الحرب على الإرهاب» على الحقوق والحريات، وتوظف قدراتها التنظيمية والسياسية ليس لبناء التوافق المجتمعي في إطار من الالتزام بالسلمية وبالقيم الديمقراطية بل لتثبيت فاشية الإقصاء والعقاب الجماعي؟ فقط في مصر.

هل سمعتم من قبل عن أحزاب وحركات «ليبرالية» تواجه الطائفية المقيتة والتمييز المرفوض ليس بالانتصار لحقوق المواطنة المتساوية بل بإنتاج خطاب طائفي معكوس وبتبني رؤى تمييزية باتجاه المختلفين معها؟ فقط في مصر.

هل سمعتم من قبل عن أحزاب وحركات «ليبرالية» تدعي أنها تدافع عن مدنية الدولة ثم تتحالف مع المكون العسكري ــ الأمني ظنا منها أنه سيشركها في الحكم/ السلطة (وهو لن يفعل)؟ فقط في مصر.

... فيا لبؤس الليبرالية التي تدعي هذه الأحزاب والحركات الحديث باسمها، ويا لعمق الأزمة الفكرية والسياسية طويلة المدى التى أدخلونا بها!

د. عمرو حمزاوي –
الشروق المصرية ٢٠١٤/٥/٢٠

استراتيجية التفاوض العربي مع إيران

د. محمد السلمي – الشرق الأوسط ٢٠١٤/٥/٢٥

تشهد منطقة الشرق الأوسط هذه الأيام حراكا دبلوماسيا غير مسبوق: زيارات متبادلة، واتفاقيات توقع هناك وهناك، ووعودا بزيارات، ومساعي لإذابة الجليد خاصة في ما يتعلق بالعلاقات بين دول الخليج العربي وإيران. على الجانب الإيراني نجد أيضا محاولات طمأنة للجوار العربي تتمحور حول أن إيران الحالية متمثلة في حكومة الرئيس حسن روحاني مختلفة عن إيران أحمدي نجاد، وتسعى إلى تجاوز الخلافات الرئيسة والثانوية، وترميم حالة انعدام الثقة بين الجانبين. لا شك أن هذه اللغة وجدت شيئا من القبول والترحيب لدى البعض، لكن أود أن أذكر كل من لديه شيء من القناعة في تصديق النغمة الإيرانية هذه، أو عازم على الدخول في مفاوضات مع طهران، أن يقرأ الأسطر أدناه بعناية فائقة.

قبل الاندفاع نحو إيران «الجديدة» علينا في بداية الأمر سرد نقاط الخلاف مع إيران وترتيبها حسب الأولوية والأهمية، حتى نستطيع التفاوض مع إيران وفق منهجية تسهم في الخروج بمكاسب حقيقية وليس المزيد من الخسائر والتوغل الإيراني في الداخل العربي.

من المعلوم أن إيران قد فتحت عدة «جبهات» وزرعت بعض الولاءات لها في الداخل العربي، فهناك الأوضاع في اليمن والبحرين وسوريا ولبنان والعراق ومصر وغيرها. تعمل إيران وفق خطة ذكية في المحافظة على مصالحها في منطقة الشرق الأوسط والدول العربية تحديدا، من خلال تقسيمها إلى مصالح وأهداف استراتيجية وأخرى مؤقتة. يتباين حجم هذه المصالح كما يتباين «عمرها الافتراضي» أو بعبارة أخرى الوقت الذي يمكن أن تتخلى فيه طهران عن إحدى هذه المصالح المؤقتة من أجل المصالح الاستراتيجية الكبرى.

بناء على ذلك، علينا في بداية الأمر تشخيص وتحديد وتفكيك هذه المصالح وإعادة فرزها حتى نستطيع أن ندخل في مفاوضات حقيقية وجادة مع إيران، ولا نقع في فخ الخطة الإيرانية من خلال قيامها بالتضحية بالمصالح المؤقتة من أجل حماية المصالح الاستراتيجية. إن السياسة كلعبة الشطرنج يحرك قطعها الساسة في الوقت والاتجاه المناسب، وما نتحدث عنه هنا هو في واقع الأمر محاكاة للعبة الشطرنج التي اشتهر الإيرانيون (الفرس) بتفوقهم فيها عبر العصور: استراتيجية التضحية بـ«الجندي» من أجل حماية «الملك/ الشاه»، والانتشار بشكل أفضل. بمعنى أن إيران قد تضحي ببعض الأوراق في الوقت الذي يحلو لها ووفقا لمصالحها الكبرى.

بعبارة أكثر وضوحا، إيران قد تدخل في مفاوضات مع الدول الخليجية والعربية وتقدم أيضا «تنازلات» (في الغالب ستكون مؤقتة) لإثبات حسن النوايا من خلال تقديم وعود بعدم التدخل في دول مثل البحرين، وإيقاف الدعم عن الجماعات الحوثية في اليمن، وقد تقدم بعض التنازلات في لبنان أيضا، وكل ذلك يندرج تحت مظلة الهدنة على جبهات مؤقتة، لكنها لن تقبل مطلقا التفاوض حول سوريا والعراق و«حزب الله» اللبناني.

تهدف هذه السياسة الإيرانية في المقام الأول إلى إبقاء مواقعها الاستراتيجية في الداخل العربي محصنة

قدر الإمكان، ولأن الجانب العربي اختار، بوعي أو من دون وعي، أن تكون الأوراق والمصالح التي يضغط من خلالها على الجانب الإيراني قليلة جدا، وكذلك على مستوى متقارب إن لم يكن واحدا، وعليه فإن التفاوض على أي منها في مقابل المصالح الإيرانية المؤقتة يعد تضحية بلاعب مهم مقابل «جندي» على رقعة الشطرنج السياسية.

ومؤخرا، قام مساعد وزير الخارجية الإيراني للشؤون العربية والأفريقية أمير حسين عبد اللهيان بزيارة للجمهورية اليمنية، التقى خلالها بالمسؤولين، وتمت مناقشة عدة ملفات من أهمها ملف الدبلوماسي الإيراني المختطف في اليمن. ومن جانب آخر، تحدثت بعض وسائل الإعلام اليمنية المحلية عن «صفقة سرية»، تتخلى طهران بموجبها عن دعمها لجماعة الحوثي لتسهيل فتح صفحة جديدة مع صنعاء، في إطار ترتيبات أشمل لتحسين العلاقات بين إيران ودول الخليج.

إن صحت هذه التسريبات الصحافية، فإن ذلك يتوافق وينسجم تماما مع الاستراتيجية الإيرانية التي تطرقنا إليها في هذا المقال. لذا على دول المنطقة توخي الحذر من الوقوع خلال تفاوضها مع طهران في فخ تلك الاستراتيجية الإيرانية، وأن تحدد الملفات ذات الأهمية القصوى لها، وبالتالي يكون التفاوض مركزا على تلك الملفات الرئيسة وليس الثانوية، ما عدا ذلك فإن الدول العربية والخليجية تحديدا قد تخسر الكثير من أوراقها مقابل خسارة أقل ثمنا للجانب الإيراني.

السياسة الخارجية الأميركية تدخل عصرا جديدا مواجهة الإرهاب بـ " الهيب هوب " !

هشام عيدي – مجلة المجلة ٢٠١٤/٥/١١

في سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٩، انتقل تشارلز ريفكين، السفير الأميركي في فرنسا، إلى شمال باريس للاحتفال بجدارية نصبت بكلية مارتن لوثر كينغ بضاحية «فلري لو بل». وقال ريفكين أمام جمهور من المسؤولين المحليين والطلاب والمواطنين: «لقد دعانا الرئيس أوباما لبناء مستقبل أفضل لأطفالنا على أساس التفاهم المشترك والفرص المتساوية». وفسر السفير أهمية الاحتفال بيوم مارتن لوثر كينغ وأهمية قيم الحقوق المدنية التي طرحها الزعيم بالنسبة للمنطقة المحيطة التي كانت ترزح مؤخرا تحت وطأة الشغب. ثم بدأ ريفكين يغني وهو يقف أمام جدارية مارتن لوثر كينغ الملونة والتي تم الانتهاء مباشرة من بنائها أغنية «سوف ننتصر - We shall overcome» بصحبة عشرات من طلاب المدارس الأفارقة والمسلمين.

على الرغم من أن الحضور قدروا تلك اللفتة، أعربت وسائل الإعلام الفرنسية عن امتعاضها من جهود السفير الأميركي؛ حيث ارتأت أنه ليس في وضع يخول له تثقيف فرنسا حول العدالة العرقية. وأشار أحد كتاب المقالات إلى ذلك باعتباره دليلا على «التلاعب الأميركي السري» بالثقافة الفرنسية. وعلى الرغم من ذلك استمرت المساعي الدبلوماسية الثقافية الأميركية في فرنسا وكافة أنحاء أوروبا. والسبب؟ بالنسبة لواشنطن، أصبحت عدم قدرة أوروبا على دمج الأقليات تمثل خطرا على الأمن القومي وكان المسؤولون دائما ما يقولون إن المسلمين الأوروبيين، الذين يشعرون بالإقصاء في بلدانهم، ربما يرغبون في إيذاء الولايات المتحدة. ويعتقد هؤلاء المسؤولون أن أمامهم وسيلة واحدة لتقليل حدة ذلك الخطر وهي الاستعانة بشعبية الثقافة الأفريقية – الأميركية وموسيقى الهيب هوب على نحو خاص.

ونظرا لأن شعور المسلمين الأوروبيين – الذين يعانون من صعوبات اقتصادية، بالإضافة إلى بزوغ نجم أحزاب اليمين المتطرف، وسياسات مواجهة الإرهاب القاسية – بالحصار داخل بلدانهم يتزايد، تؤمن واشنطن بأن نموذج حركات الحقوق المدنية الأميركية والسياسات المناهضة للتمييز العنصري وتاريخ كفاح السود للحصول على حريتهم في الولايات المتحدة يمكن أن يوفر اللغة التي يمكنها التعبير عن مظالمهم والدافع لمعالجة تلك المظالم عبر السياسة. ففي النهاية، طور الأفريقيون – الأميركيون خطابا نقديا فعالا بشأن التمييز العرقي والإمبراطورية تمكن ببراعة من ربط

الأحداث في الجيتوهات المحلية بالقرارات التي يجري اتخاذها في المنتديات الدولية. ويتمنى الدبلوماسيون الأميركيون الآن أن يتمكنوا من إقناع المسلمين الأوروبيين بأن ذلك النوع من الخطاب النقدي يصلح لحياتهم الخاصة.

لغة جديدة للتواصل المشترك

تحظى الدبلوماسية الثقافية الحالية لواشنطن بجذور تعود للحرب الباردة. ففي عام ١٩٥٥، بدأت وزارة الخارجية الأميركية تنظيم جولات رفيعة المستوى لفرق الجاز التي تعمل على الدمج العنصري مثل «ديزي غليبسي»، و«لويس أرمسترونغ»، و«ديوك ألينغتون»، و«بيني غودمان» في الاتحاد السوفياتي وغيرها من دول الكتلة الشرقية. وكان الهدف أن تصبح تلك الفرق رمزا لانتصار الديمقراطية، فيما تعمل موسيقى الجاز كتجسيد للمثل الليبرالية الأميركية. ووفقا لما كتبته المؤرخة، بيني فون إيشن، في دراستها الرائدة حول تلك الجولات التي جاءت بعنوان «ساتشمو يطيح بالعالم»، كانت وزارة الخارجية في الخمسينات تشعر بأن الثقافة الأفريقية – الأميركية يمكن أن تمنح الجماهير التي تشعر بالغضب في ظل الحكم السوفياتي «إحساسا بوجود من يشاركهم معاناتهم وتقنعهم بأن المساواة يمكن تحقيقها في ظل النظام السياسي الأميركي».

وعلى الرغم من أن عازف البيانو، ديف بربيك، ربما يكون قد بالغ في التعبير عن القضية عندما قال إن سفراء الجاز ساعدوا على إنهاء الحرب الباردة، يوافق العديد من الأكاديميين على التقييم الذي قدمه مؤرخ هارفارد، إنغريد منسون الذي أفاد بأن جولات الجاز كانت تمثل «نجاحا منقطع النظير» في الحصول على المزيد من الدعم للولايات المتحدة. ويحيط تفكير مشابه حاليا بدبلوماسية الهيب هوب. ففي عام ٢٠٠٥، وعندما كانت أعمال الشغب ترج أرجاء ضواحي باريس، بدأت وزارة الخارجية إرسال سفراء الهيب هوب – مطربي راب، وراقصين، ودي جي – لتقديم حفلات والتحدث في أوروبا بالإضافة إلى بعض أنحاء أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط. وكانت توني بلاكمان، التي تقدم عروضا فنية تعتمد على الشعر، هي أول من يعمل كسفيرة هيب هوب وتوافق على تقديم عروض في فعاليات ترعاها السفارة في كل مكان بداية من السنغال وصولا إلى إندونيسيا. وقدم الفنانون الذين تبعوا خطاها عروضا وأقاموا ورش عمل وتحدثوا إلى وسائل الإعلام حول وضع المسلمين في أميركا وحاولوا «تصحيح الاعتقاد السائد حول قمع المسلمين في الولايات المتحدة» بحسب تعبير السفارة الأميركية في ماليزيا. واليوم، يجري باستمرار دعوة فناني الراب المسلمين – الأميركيين لتقديم عروض في السفارات الأوروبية، كما تجري دعوة فناني الهيب هوب المسلمين المحليين أيضا.

وربما يبدو مستغربا أن تختار وزارة الخارجية موسيقى الهيب هوب لتمثيل الولايات المتحدة في جميع أنحاء العالم، ولكن المسؤولين في وزارة الخارجية مثل فرح بانديث، التي ما زالت حتى الوقت الراهن تعمل كمندوبة خاصة للولايات المتحدة إلى مسلمي العالم، يقرون بأن الموسيقى هي لغة للتواصل المشترك أو كما يطلق عليها «lingua franca» بين الشباب – خاصة الشباب المهمش – في كل العالم. وفي تقرير لمعهد بروكينغز، حاولت كل من سينثيا شنايدر وكريستينا نيلسون، منظرتي البرنامج، أن تشرحا أسباب جاذبية تلك الموسيقى، حيث قالتا إن الهيب هوب بدأت كحركة «احتجاجية» ضد النظام الأميركي ولكنها الآن تتردد بين شباب المسلمين المهمشين في جميع أنحاء العالم نظرا لأنها «تعكس الصراع ضد السلطة» وتعبر عن «الألم» الذي يتجاوز عوائق اللغة.

ومن جهة أخرى، لا يبدو مفاجئا أن تلجأ وزارة الخارجية إلى التركيز على مناح معينة من تلك الموسيقى على حساب مناح أخرى، فقد ركزت «على أهمية الجذور الإسلامية لموسيقى الهيب هوب في أميركا»، والتأثيرات الإسلامية التي تأثرت بها تلك الموسيقى. وذكر تقرير بروكينغز أن رواد الهيب هوب كانوا من أبناء المدن المسلمين الذين اتبعوا «التقاليد الأفريقية – الأميركية المسلمة المتعلقة بالاحتجاج ضد السلطة، والتي كان أبرز من يمثلها هو مالكولم إكس». وأكدت بانديث في خطاب ألقته أمام مركز جنوب آسيا بمجلس الأطلسي في أبريل (نيسان) ٢٠١٠ بأن الهيب هوب

يمكنها أن تقدم «خطابا مختلفا» لمواجهة «آيديولوجيا العنف» الأجنبي التي يتعرض لها الشباب.

ومن جهة أخرى، كانت الحكومات الأوروبية أكثر حذرا حيال تأثير الهيب هوب. فمنذ بداية التسعينات، أعرب المسؤولون الفرنسيون عن قلقهم بشأن انتشار تلك الموسيقى – وثقافة السود بشكل عام – بين الشباب الفرنسي المسلم. كما نعت المعلقون الفرنسيون (على غرار العديد من نظرائهم الأميركيين) ثقافة الهيب هوب بأنها مرض ثقافي، وحملوها وزر العديد من السلبيات الاجتماعية للجيتوهات الأميركية في فرنسا، بما في ذلك «نمط حياة الأفريقيين الأميركيين العدائي»، ونشر الثقافة الأفريقية – الأميركية (ثقافة خصم). وفي عام ١٩٩٤، ونظرا لخوف الحكومة الفرنسية من الأمركة، وإدخال كلمات إنجليزية إلى اللغة الفرنسية مررت الحكومة قانونا يحد من انتشار إذاعة موسيقى الهيب هوب في محطات الإذاعة الفرنسية.

على أية حال، فقد كانت السياسات الفرنسية أكثر قلقا خلال السنوات الماضية بشأن نوع الإسلام الذي ينشر عبر موجات «الراب» ومن ثم تدخلت لمنع بعض الفنانين الذين اعتبرتهم «راديكاليين». وكرد فعل على محاولات مطربي الراب المتطرفين استغلال الهيب هوب للدعوة للعنف، بدأت الحكومات في جميع أنحاء أوروبا دعم الهيب هوب الذي يروج للهوية المسلمة «المعتدلة». وفي أبريل ٢٠٠٧، قدمت وزارة الداخلية البريطانية برنامجا يطلق عليه «منع – Prevent» يعمل على توفير تمويل للمنظمات الإسلامية لكي تتمكن من إنتاج حفلات هيب هوب تقدم مطربي الراب المسلمين الأميركيين والبريطانيين الذين يقدمون «تفسيرات معتدلة» للإسلام. وحذت الحكومتين الألمانية والهولندية حذوها. مما لا شك فيه أن هناك تباينات كبرى في الآراء حول تعريف الإسلام «المعتدل». فعلى سبيل المثال احتفت المؤسسة الثقافية الفرنسية بالفنان الصوفي عبد المالك – الذي يقدم أغاني راب حول حبه للجمهورية – بدلا من خصمه مدين المسلح الذي يستلهم أفكاره من «القوة السوداء». وعلى النقيض من ذلك، كانت واشنطن لديها دائما مفاهيم أكثر ليبرالية بشأن أنواع الإسلام التي يجب نشرها في أوروبا.

وفي فبراير (شباط) ٢٠١٠، دعا السفير الأميركي في فرنسا فرقة الراب المثيرة للجدل «كيه أوماندو توكسيك – K.Ommando Toxik» لتقديم عرض بمقر إقامته. ولم يسر ذلك المسؤولين الفرنسيين، خاصة وأن الفرقة قدمت عرضا لتكريم ولدين قتلا على يد قوات الشرطة الفرنسية في نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠٧، وهي الحادثة التي أعقبتها سلسلة من أعمال الشغب. كما أثار برنامج أميركي آخر، سافر من خلاله مجموعة من مطربي الراب الفرنسيين إلى الولايات المتحدة للالتقاء بالفنانين ونشطاء الحقوق المدنية في هارلم موجة أخرى من الغضب. حيث كان أحد الفنانين الذين دعتهم وزارة الخارجية هو مغني الراب إكوي لابيتي من فرقة «لا روميو» وهي إحدى الفرق التي اتهمها الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي بالتشهير إثر إلقائهم أشعارا حول حصانة الشرطة الفرنسية.

حلفاء غاضبون

تبرز التوترات التي نشأت عن دبلوماسية الهيب هوب أحد أهم الخلافات بين الجهود الحالية والجهود التي كانت تبذل في فترة الحرب الباردة: حيث كانت البرامج السابقة توجه إلى الاتحاد السوفياتي وهي دولة خصم، فيما تركز المبادرات الحالية على الدول الأوروبية الصديقة. وتنفق الولايات المتحدة حاليا ملايين الدولارات للفوز بقلوب وألباب الجاليات المسلمة الأوروبية الساخطة التي عادة ما تقف ضد البرامج التي تقدمها الدول الأوروبية، وهو ما أغضب المسؤولين المحليين الذين يؤمنون بأن الولايات المتحدة تتعدى على سيادة بلدانهم لكي تروج لمصالحها القومية الخاصة. وقد أثبتت البرقيات الدبلوماسية التي نشرتها «ويكيليكس» في ديسمبر (كانون الأول) ٢٠١٠ صحة تلك الحجة؛ حيث تضمنت العديد من تلك البرقيات انتقادات وجهها مسؤولون أميركيون لحكومات فرنسا وبريطانيا وهولندا نظرا لإساءتهم معاملة الأقليات المسلمة. ويبدو أن الدبلوماسيين الأميركيين قلقون أساسا بشأن العواقب المحتملة للعلاقات بين ضفتي الأطلسي كما أنهم غير

مقتنعين بالجهود الأوروبية لمجابهة ذلك «التهديد الجديد». وكانت رسائل السفارة في باريس هي الأكثر إساءة، فوفقا لإحدى البرقيات: «لدى الفرنسيين مشكلة معروفة جيدا فيما يتعلق بالتمييز ضد الأقليات. وما زالت وسائل الإعلام الفرنسية تقوم بتمييز لصالح البيض.. فمن بين كافة المؤسسات التعليمية النخبوية الفرنسية، لم ينم إلى علمنا أية محاولات جدية للدمج بخلاف محاولات «معهد الدراسات السياسية بباريس». وألقت تلك البرقيات باللوم على عاتق الحكومة الفرنسية فيما يتعلق «بالجهل الرسمي بالاختلافات العرقية». وأعرب الدبلوماسيون الأميركيون عن خوفهم من أن يتجه شباب المسلمين الفرنسيين صوب التطرف بالإضافة إلى أن النزاعات الإثنية يمكنها أن تضعف فرنسا إذا لم تتمكن فرنسا على المدى البعيد من أن تمنح الأقليات تمثيلا سياسيا حقيقيا؛ حيث «يمكن أن تصبح البلاد أضعف وأكثر انقساما وربما أكثر تعرضا للأزمات.. وبالتالي تصبح حليفا أقل فعالية».

وفي الوقت نفسه، يقر العاملون بالسفارة الأميركية بأنه من المستبعد أن تقبل أغلبية المجتمع الفرنسي المفاهيم الأميركية حول الاختلافات العرقية والدينية أو الشراكة مع السفارة لمعالجة مظالم المسلمين الفرنسيين. (فقد كانت فرنسا دائما ما تعتبر نفسها محصنة ضد المشكلات العرقية كالتي شهدتها الولايات المتحدة، وكانت تفتخر بتاريخها في توفير الملجأ للأفريقيين – الأميركيين الذين كانوا يعانون من التمييز). وبالتالي، تقترح البرقيات التواصل المباشر مع الجمهور الفرنسي خاصة المسلمين الفرنسيين عبر برامج التبادل الثقافي والمهرجانات والمؤتمرات والظهور في وسائل الإعلام لإبراز أن الولايات المتحدة تحترم الإسلام «وأنها تشارك على نحو طيب في العالم العربي الإسلامي». وأشارت البرقيات أيضا إلى أن المسؤولين بالسفارة يستهدفون أن يشرحوا إلى الأكاديميين ورجال الأعمال كيف تستطيع الاستراتيجيات الأميركية لإدارة التنوع الاجتماعي مساعدة فرنسا على تحقيق قيمها المتعلقة بالمساواة. وسوف يكون الهدف هو خلق جدل عام حول التمييز الإيجابي، والتعددية الثقافية، والهوية المركبة وإقناع الزعماء الفرنسيين بإعادة التفكير في «برامجهم الثقافية» فيما يتعلق بالأقليات. وتشير إحدى البرقيات إلى أن «مثل تلك الجهود سوف تتطلب قدرا كبيرا من الحساسية والحذر والبراعة من جانبنا».

وبالطبع، كان لتلك البرقيات المسربة رد فعل سلبي في فرنسا، ولكن أكثر البرقيات التي أثارت غضب الحكومة كانت برقية كتبها كريغ ستابلتون، السفير الأميركي أثناء ذروة الاضطرابات المدنية بباريس في نوفمبر ٢٠٠٥ والذي قال فيه: «إن المشكلة الحقيقية هي إخفاق فرنسا المسيحية البيضاء في النظر إلى مواطنيها داكني البشرة والمسلمين باعتبارهم مواطنين ولديهم حقوق». وفي حديث في برنامج تلفزيوني، سخر رئيس الوزراء السابق دومينيك دي فولبان قائلا: «تظهر هذه البرقية حدود الدبلوماسية الأميركية». وأضاف أن الدبلوماسيين الأميركيين كانوا يفهمون عبارة «شغب الضواحي» من خلال تاريخهم الخاص والذي ينظر لتلك الأزمة المدنية بفرنسا عبر المنظور الديني. ومن جانبها، فإن وسائل الإعلام الفرنسية كانت غاضبة على نحو خاص من الكشف عن أن الولايات المتحدة كانت تعمل سرا على تشكيل خطاب وسائل الإعلام الفرنسية بشأن الدمج العرقي. ومع ذلك فإن أكثر ما أغضب الفرنسيين كان جهود السفارة الأميركية لتمكين الأصوات المسلمة الفرنسية «المعتدلة». وكانت إحدى أكثر المنظمات المسلمة التي عملت السفارة الأميركية على تأييدها هي المجلة الإلكترونية Oumma.com التي تركز على شؤون المسلمين، والتي وصفها السفير الأميركي باعتبارها «موقعا مميزا». وقد بدأ المحافظون الفرنسيون، الذين يعتبرون الموقع متطرفا نظرا لتعاطفه المزعوم مع جماعة الإخوان، يتهمون الحكومة الأميركية والمسلمين الفرنسيين بالتآمر لهدم التقاليد العلمانية الفرنسية. (وأعربت الصحافة البريطانية عن غضب مشابه إثر البرقيات المسربة التي أشارت إلى حملة السفارة الأميركية «السرية» للتواصل مع المساجد «الراديكالية» بما في ذلك مسجد «فنسبار بارك» بشمال لندن والذي كان يتردد عليه كل من زكريا موسوي الذي اشتهر بلقب «المختطف العشرون» وريتشارد ريد

المعروف «بمفجر الحذاء»).

وعلى الرغم من مرور عامين على الكشف عن البرقية، ما زالت الهستيريا الفرنسية لم تخفت، فبعض المحافظين تحدثوا حول المسلمين باعتبارهم حصان طروادة الذي يعمل نيابة عن الولايات المتحدة، فيما قارن البعض الآخر الرحلات التي ترعاها وزارة الخارجية الأميركية إلى «هارلم» بالرحلات التي كان يرعاها الاتحاد السوفياتي في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي والتي كانت تحت المثقفين الفرنسيين على الاستفادة من التجربة الاشتراكية في المقام الأول. وفي أبريل ٢٠٠٨، نشرت صحيفة «لوباريزيان» اليومية قصة لا أساس لها على صفحتها الأولى تزعم أن الاستخبارات الأميركية بدأت برامج خاصة في الضواحي، وما زالت نشاطات وكالة الأمن القومي الأميركية تتصدر عناوين الصحف الفرنسية حتى الآن.

اللعب على وتر الجماهير

ومن جهة أخرى، قوبلت برامج دبلوماسية الهيب هوب التي قدمتها واشنطن بانتقادات أخرى داخل مجتمع الهيب هوب ذاته. فقد أثارت تلك البرامج جدلا محموما حول الغرض من الهيب هوب وبشأن ما إذا كان صناع «موسيقى الاحتجاجات يجب أن يعملوا مع الحكومات أو يقبلوا دعوات السفارات. ووفقا لما قاله مغني الراب الإنجليزي الشهير لوكي: «لقد تمكن الهيب هوب من كشف السلطة وتحديها ولكنه لم يعمل أبدا على خدمتها. فعندما تحب الحكومة الأميركية نفس مطربي الراب الذين تحبهم، يجب أن نتساءل من الذي يخدمه فعليا هؤلاء المطربون؟

والمفارقة الكبرى هي أنه على الرغم من إعراب مطربي الراب اليساريين والصحافيين الأوروبيين المحافظين والسياسيين عن غضبهم، أعرب شباب المسلمين الذين كانوا هدفا لتلك المبادرات عن تقديرهم الكامل لتلك المبادرات. فإذا كان الهدف هو خلق انطباع إيجابي عن الولايات المتحدة بين المسلمين الأوروبيين، فإن البرنامج نجح في تحقيق ذلك الهدف. وعلى نحو خاص في فرنسا، بدأت الآراء الإيجابية حول الولايات المتحدة تتزايد بحدة في فرنسا منذ ٢٠٠٨ بين شباب المسلمين. فيبدو أنهم لا يمانعون أن يصبحوا هدفا للبرامج الثقافية التي تقدمها الحكومة الأميركية لأنهم لا يشعرون بأنهم يتعرضون للتمييز. فقد قالت وداد كفتي، المدونة التي تبلغ ٢٧ عاما وشاركت في البرامج التي ترعاها السفارة في حوار مع «التايمز» أنها كانت تعلم أن السفارة الأميركية هي التي دعتها لأن لديها خلفية كجزائرية مسلمة ولكنها أضافت: «ما يزعجني أكثر هو أن أصبح هدفا للدولة الفرنسية».

وأخيرا، يتمنى العديد من النشطاء المسلمين أن تمكنهم علاقتهم الجديدة بسفارات الولايات المتحدة من الضغط على حكوماتهم لكي تصغي لمظالمهم. فيقول روخايا ديالوا، المنظم الفرنسي – السنغالي والذي يعمل من كثب مع السفارة الأميركية في باريس: «إن السفير الأميركي يظهر في الضواحي أكثر من وزراء البلد.. لماذا إذن؟» يعد طرح ديالوا لمثل ذلك السؤال إنجازا لدبلوماسية الهيب هوب التي تتبعها واشنطن. بل إنه سيصبح إنجازا أكبر إذا ما شعرت الحكومة الفرنسية بأنها مضطرة للإجابة عنه.

خدعة جديدة في الصراع الإيراني العربي!

د. أبو سلمان الفارسي – طهران

عملية استيقاظ العرب من سباتهم العميق لمعرفة حقائق واقعهم السياسي في المنطقة والدور الإيراني فيها كلفتهم الكثير؛ فقد ضيعوا أكبر قوة عسكرية عربية فاعلة – المتمثلة في العراق – بعد أن سبق أن قدموا وبكل سذاجة «لبنان» على طبق من الذهب لحزب الله الإيراني.

يبدوا بأن الصحوة العربية لم تكتمل إلا بعد أن أخذت عنجهية إيران التي سكرتها الإنتصارات المتتالية تأخذ في الاستهانة بالغيرة العربية على أرض الشام لتضم هي الأخرى إلى سلطانها.

هذه هي الصورة التي قد تبدوا لأول وهلة، لكنني تفاجئت بأن الشخير العربي مازال عاليا، وكل قطر

عربي يعيش حلما لوحده وكأنه في عالم غير عالم الآخرين، ويظن بأنه في مأمن من أنياب الذئب مادام يهتك عرض أخاه و يلعب ببكارة أخته!

قبل أن تتخذ الشعوب العربية موقفا واضحا تجاه المشروع الإيراني حول ساستهم ترسانة الحرب وخنجر الحقد إلى صدور أبنائهم تحت لافتة «الحرب على الإخوان» وبالتالي أوجدوا فصاما نكدا بينهم وبين الشعوب المسلمة التي هي رصيدهم الوحيد في وجه العدو الخارجي.

إذا كانت إيران خسرت جزءا من الشارع الإسلامي والحركات الإسلامية في المنطقة، فقد استطاعت أن تجند الكثير ممن يرفعون شعارات العلمانية والتنوير، بل وأن تشتري ذمم بعض أمراء العرب وعددا من كبار الساسة والسياسيين.

تضاعفت النشاط الإيراني في مصر بعد الإنقلاب العسكري الذي قاده «السيسي» بمباركة من العرب. فمازالت النهمة الإيرانية تجري وراء مصر؛ فهي تدرك بأنها إن ملكت مصر – قلعة الشيعة الفاطمية - خضع لها العرب قاطبة. وأن مشروعها في الاستيلاء على الحرمين (عام ٢٠٢٥ الميلادي!!) لن يكتمل من دون مصر.

إن كان الإعلام الإيراني المبرمج تحت قيادة مباشرة من المرشد الأعلى استطاع أن يخدر الشاب العربي، ويصيد المرأة والأسرة العربية بأفلامها و برامجها الهادفة، فقد أضرتها بعض القنوات الشيعية التابعة للتيارات التي لم تخضع لسلطان المرشد الإيراني بعد أن رفضت تقسيم الكعكة بين المراجع وسمى نفسه بـ «الولي الفقيه المطلق» (اقرأها: الناطق الرسمي المعصوم باسم الله)، في محاولة منه إلى احتكار المرجعية وبالتالي الإستيلاء على أموال الخمس العالمية والمزارات التي تتجب مالا.

ساهمت هذه القنوات الشيعية في كشف الأقنعة عن الحقائق الخفية التي تختفي وراءها قادة إيران، كما أنها أحدثت بلبلة في الصف الشيعي.

وفي جانب آخر لعبت القنوات السنية الفارسية دورا مشهودا في توعية الشعب الفارسي وإحداث فجوة عميقة بين الشعب الإيراني والمعممين الذين اعتبروه رهينة رخيصة يجرونه نحو أحلامهم وآمالهم الصفوية، وقد بارك الله في جهود هذه القنوات فاستطاعت أن تحدث شرخا عظيما في الكيان الشيعي الصفوي مما جعل المراجع يتصرفون كالذي استهوته الشياطين حيران، وكالغريق يتشبث بكل حشيش!

تحاول إيران أن تقضي على هذين العدوين الشرسين الذين أطارا النوم عن جفون قادة الصفوية. بدأت المعركة الإعلامية بفيلم وثائقي أخرجته الأجندة الإيرانية في مؤسسة (ب ب سي العربية)، حيث ظهر وكأنه يدعوا إلى إغلاق القنوات التي تدعوا إلى الطائفية!

فأبرزت بصورة استفزازية بعيدا عن المهنية الصحافية واحترام الآخر؛ ثلاث قنوات شيعية تعارض النظام الإيراني، والقنوات السنية المهتمة بالشأن الإيراني؛ العربية منها والفارسية، ولم يتطرق لا من بعيد ولا من قريب إلى العشرات القنوات والإذاعات ووكالات الأنباء، ومئات المواقع الطائفية التي تنفق عليها إيران وتعمل تحت إدارة مؤسسة الإذاعة والتلفزيون الإيراني بإشراف مباشر من المرشد «الخامنئي» نفسه، ولا إلى الإنتماء الطائفي وبث الحقد والكراهية الطائفية التي تقودها القنوات الإيرانية الرسمية وبالعديد من اللغات!

والآن خرج الفزاعة الإيرانية في العالم العربي؛ حسن نصر الله، ليؤدي دوره المنوط به في هذه المسرحية الهزلية، فأخذ يطالب علنا بإغلاق بعض القنوات الطائفية التي تبث من إيران لأنها أساءت إلى سمعته التي أنفق أموالا طائلة من الخزينة الإيرانية في سبيل نسيج خيوطها من الكذب والدجل والخداع والتزوير.

يعتبر السذج ممن لا يدركون ما يجري وراء كواليس الدهاء الإيراني أن هذه الحركة من حسن نصر الله وإيران، مبادرة مباركة للقضاء على النعرات الطائفية وحفظ المنطقة من ويلات الحروب الطائفية، لكن الحقيقة التي لا يدركها إلا المطلع على مجريات الأحداث فإن هذه الأدوار ليست إلا مناورة سياسية للضحك على أذقان البلهاء من العرب في دفعهم إلى إغلاق

القنوات السنية الفارسية، وزميلاتها العربية كالوصال والصفا التي ساهمت في كشف أسرار السياسة الإيرانية في الاستيلاء على الحرمين والدول العربية قاطبة.

فهل ينخدع ساسة العرب و يلدغون مرة أخرى من نفس الجحر الذي لدغوا منه مرات و كرات؟!

فيما يبدوا فإن الأيام الآتية مازالت حبلى بانتكاسات عربية أخرى، فقادة العرب مازالوا لم يصحوا من سباتهم العميق، ويبدوا لن يصحوا إلا إذا نزل الفأس الصفوي على رؤوسهم!...

البحرين بين أنصارها والإخوان

إبراهيم الهطلاني – نشرة صدى – مركز كارنيغي ٢٠١٤/٥/٢٠

محاولات تصنيف جماعة الإخوان المسلمين في خانة المنظمات الإرهابية تضع القيادة البحرينية في مواجهة مع الجماعة التي تُعتبَر حليفتها في الداخل ضد المعارضة الشيعية.

منذ اعلان السعودية الإخوان المسلمين منظمة إرهابية، تتخبّط البحرين للتوفيق بين دور جماعة الإخوان المحلية التي تدعم المَلَكية في مواجهة ما يعتبره النظام معارضة شيعية تخلّ بالاستقرار في البلاد، وبين دور التنظيم الإقليمي.

في محاولة لتسليط الضوء على جهودها لمحاربة الإرهاب أصدرت وزارة الداخلية البحرينية في ٢٧ من مارس بيانا تحذيريا موجها لمواطنيها الذين يقاتلون في نزاعات خارجية – أسوة بالمملكة العربية السعودية – يتضمن إجراءات عقابية من بينها سحب جنسياتهم إذا لم يعودوا خلال أسبوعين. ويبدو أن الحكومة البحرينية من خلال هذا الإجراء، سعت إلى القضاء على الدعم الملفوظ والمالي للجماعات السورية خاصة بعد انتشار أخبار عن مقتل مواطنين بحرينيين أثناء مشاركتهم للقتال ضمن صفوف مجموعات إسلامية مصنفة على القائمة السعودية والأمريكية للإرهاب.

جاء بيان وزارة الداخلية بعد تصريح وزير الخارجية البحريني خالد بن احمد آل خليفة أن البحرين لا تعتبر الإخوان المسلمين «المنبر الإسلامي» في البحرين تنظيما إرهابيا، لأن الإخوان في البحرين ملتزمون بقانون الدولة ولم يرتكبوا ما يعتبر تهديدا لأمن البحرين، وهو بهذا التصريح الذي حرص فيه على إعلان تفهمه للقرار السعودي، يقدم صيغة جديدة تتجاوز القرار المتفق عليه مع السعودية والإمارات الذي يعتبر الإخوان تنظيما إرهابيا بالمطلق وبدون استثناءات. كما أنه ميز بين الإخوان المسلمين كحركة عالمية والحريات المحلية ومن بينها المنبر. إلا أن التناقض بدا واضحا في التبريرات اللاحقة للوزير البحريني مما تسبب في إثارة المزيد من علامات الاستفهام حول موقف البحرين.

وقد اجاب وزير الخارجية البحريني على سؤال بقوله نحن لا ننظر إليها كحركة عالمية، بينما كتب الوزير البحريني في تغريدته على حسابه الرسمي في تويتر عقب انتهاء المؤتمر في ٢١ مارس الماضي حركة الإخوان المسلمون هي حركة عالمية لها نهجها الواحد و منتشرة في دول العالم، و التعامل معهم هو حسب قانون كل دولة و ما تلتزم به من اتفاقات. من الصعب على الوزير تبرير موقف حكومته المزدوج تجاه إخوان الخارج الذي التزم به في اجتماع الرياض بداية مارس ٢٠١٤ وبين إخوان الداخل في بلاده الذين كونوا مع السلفيين تجمعا للوحدة الوطنية عام ٢٠١١ لدعم استقرار البحرين واستمرار حكم آل خليفة، وارتباطهم بعلاقات قوية بشخصيات من آل خليفة، ولهم نواب منتخبون في البرلمان البحريني منذ العام ٢٠٠٢ عندما حصلت على ٧ مقاعد من اصل ٨ مقاعد كانت تتنافس عليها.

خلق الجهد الذي تقوده السعودية لحظر جماعة الإخوان المسلمين أزمة حقيقية داخل البحرين حيث فرع الإخوان ليس فقط لاعبا سياسيا ثابتا بل له رابط بالأسرة الحاكمة و يساندها ضد المعارضة الشيعية. ليست أزمة القرار الذي اتخذته كل من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والبحرين في أصل الاتهام الذي يمكن فهمه إذا كان موجها ضد إخوان مصر، بل

الأزمة هي في تعميمه على الفروع الإخوانية في العالم العربي إضافة إلى صعوبة إثباته وتطبيقه في كل الدول، فبعض حكومات الخليج ومعها المغرب وتونس وحتى الاتحاد الأوروبي وأمريكا لم تقتنع بالمبررات والأدلة المقدمة من الرياض وأبو ظبي وليس من مصلحتها القبول بهذا الحكم والتجريم الصادر ضد جماعة الإخوان المسلمين لان وجود الإخوان في جمعيات واحزاب سلمية وقانونية ضروري ومهم لأغلب الأنظمة العربية الحاكمة في حفظ التوازن السياسي الداخلي المجتمعات الإسلامية، وعلى هذا الأساس جاء رفض بعض الدول العربية ومن ضمنها الكويت التي تستضيف القمة العربية الخامسة والعشر إدراج مقترح سعودي إماراتي مصري يقضي بإعلان الإخوان المسلمين تنظيما إرهابيا بشكل رسمي.

لم تكن لدول الخليج أي برنامج أو خطة لمواجهة الإخوان أو القضاء عليهم إلى أن وصلت جماعة الإخوان للسلطة في اكبر دولة عربية، هذا الواقع السياسي الجديد كان سببا في استثارة مخاوف حكومات الخليج وخصوصا في الدول التي لا تسمح بالعمل السياسي المنظم، تدرك المملكة العربية السعودية مدى تأثير الإسلام السياسي وخطورته، لذلك كانت في مقدمة الدول التي تحارب استخدام سلاح الدين لأهداف سياسية في داخلها او داخل الدول المحيطة بها او المؤثرة فيها.

وفي البحرين تحديدا، المواجهات الدموية بين المتظاهرين الشيعة وقوات الشرطة البحرينية وما نجم عنها التوتر الطائفي دفعت الحكومة إلى تعزيز ارتباطها بقوى الإسلام السياسي السني ومن ضمنهم جمعية المنبر الإخوانية لدعم الحكومة في مواجهاتها ضد المعارضة الشيعية في الشارع والبرلمان البحريني. وإلى جانب المواجهات الإرهابية التي تشهدها شوارع العاصمة المنامة، يجد حمد بن عيسى آل خليفة ملك البحرين نفسه مضطرا في اغلب المواقف إلى مسايرة الجناح الاقوى داخل الأسرة الحاكمة الذي له علاقة قوية مع التيار السياسي السنة ومن ضمنه المنبر الذي يعتبر جزءا من السلطة حيث يشترك في الحكومة بوزيرين ووزير دولة. ومن ابرز تلك القضايا الخلافية إقالة الحكومة واستبدالها بحكومة منتخبة ستنهي بالضرورة على سلطة ونفوذ عم الملك خليفة بن سلمان آل خليفة الذي يحتفظ بمنصب رئيس الحكومة منذ العام ١٩٧١ ويدعم انتهاجا سياسة صارما مع المعارضة الشيعية.

وبعد اقحام البحرين في ملف الإخوان إلى جانب ما تعانيه من اعمال شغب مزمن أصبحت البلاد أمام خيارين، إما مواجهة الإرهاب الفعلي الداخلي الذي تثيره المعارضة الشيعية الثورية مع ما يتطلبه ذلك من تعزيز العلاقة مع الإسلاميين السنة خصوصا الإخوان المسلمين في البحرين وما يترتب عليه من غضب الشركاء الخارجيين المناهضين للإخوان، وإما المشاركة الفعلية الشاملة في تلك الحملة الإقليمية ضد الإرهاب المحتمل الخارجي للإخوان مع خسارة الشريك السني في الداخل وانكشاف الحكم الملكي في مواجهته للمعارضة الشيعية المحتشدة في الشارع بمختلف توجهاتها.

جماعة فتح الله غلون تتوسع في المغرب

موقع مجلة البيان ٢٠١٤/٣/٢٧

لم يكن لجماعة «الخدمة» الصوفية التي يتزعمها الداعية التركي المقيم بالولايات المتحدة الأمريكية، فتح الله غولن (٧٤ سنة)، أي صدى في أوساط المجتمع المغربي قبل الصراع الذي تفجر مؤخرا بينها وبين الحكومة التي يقودها حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا، فقد كانت الجماعة تشتغل في الظل وتتبع استراتيجية الاختراق والتغلغل الهادئ إلى أن أخرجتها الأزمة في بلاد الأناضول، بسبب الجدل الذي أثارته على خلفية وقوف رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، أمام زحفها نحو السيطرة والتحكم في القطاعات الحيوية بالبلاد لخدمة أجندتها الخاصة.

وفور مهاجمة أردوغان لها واتهامها بتشكيل الدولة داخل الدولة وزعزعة استقرار البلاد وخدمة أجندة خارجية، سارعت جماعة الخدمة بالمغرب لاحتواء الأصداء التي تنقلها مختلف وسائل الإعلام المغربية للرأي العام المحلي، فعمدت إلى عقد لقاءات مكثفة مع ممثلي

المنابر الإعلامية والصحفية من أجل محو الصورة السلبية عنها وتفنيد الاتهامات الموجهة لها من أنقرة ومن أجل مُحاصرة نزيف المُعرضين عنها وتلميع صورتها، نظمت زيارات جماعية لعدد من الصحافيين والإعلاميين والأكاديميين والأساتذة الجامعيين إلى تركيا.

فخلال الشهر الماضي، نظم أتباع فتح الله كولن، لقاءئين تواصليين بالمركز الثقافي بالرباط استدعوا لهما مجموعة من الصحفيين بالرباط، وحسب مصادر حضرت اللقاء فإن مسؤولي الجماعة بالمغرب أطلعوا الإعلاميين المغاربة على مستجدات المشهد التركي من أجل إقناعهم بوجهة نظرهم وموقفهم من الخلاف الذي تفجر على حين غرة بينهم وبين حكومة حزب العدالة والتنمية، فكيف تشتغل الجماعة بالمغرب وما حجم نفوذها؟ وإلى أي حد تأثرت الجماعة بالمغرب بالصراع الدائر في تركيا؟ وهل سيؤثر ذلك على وجودها في المملكة المغربية؟

تغلغل ناعم في المجتمع المغربي

ابتدأ وجود جماعة «الخدمة» بالمغرب سنة ١٩٩٤ حين شيد أول فوج من أتباع غولن مدرسة ابتدائية بمدينة طنجة بدعم وتمويل من رجل أعمال مغربي، غير أن توسع نشاطها وامتداد نفوذها ليشمل الجانب الثقافي والاقتصادي يعود لوقت قريب جدا، وبالضبط إلى سنة ٢٠١١ عقب تأسيس المركز الثقافي المغربي التركي بالعاصمة الرباط، حيث استفادت الجماعة من علاقتها الجيدة آنذاك مع حزب العدالة والتنمية التركي الذي تجمعه علاقة قوية بنظيره المغربي حزب العدالة والتنمية، وبعد وصول الأخير للسلطة بالمغرب نهاية السنة نفسها، استغلت حركة غولن هذه الأجواء وتغلغلت بشكل هادئ.

ويشكل المركز اللغوي والثقافي التركي بالرباط أحد أبرز مراكز استقطاب الجماعة بالمغرب، حيث الكثيرون لا يعرفون أن المركز شركة خاصة يملكها أتباع فتح الله غولن وليس مركزا تابعا للسفارة التركية كما يعتقد القاصدين له باطمئنان ظنا منهم أنه جهة رسمية، غير أن الأمر يتعلق بإحدى الوسائل التي تركز عليها الجماعة في تغلغلها داخل مختلف الدول التي تتواجد بها، ويتعلق الأمر بالمجال الثقافي المبني على فلسفة معدة بدقة هائلة لاستقطاب أكبر قدر ممكن لمختلف شرائح المجتمع المغربي.

وحسب مصادر مقربة من أفراد الجماعة بالمغرب فإن المركز الثقافي يقدم الدروس الخصوصية للتلاميذ والطلبة لتعليم اللغة التركية وحصص لغات أجنبية أخرى من طرف أساتذة أتراك قادمين للمغرب من أجل هذه الوظيفة، كما ينظم المركز أنشطة أخرى تدر الدخل المادي كالرحلات سياحية للمغاربة الراغبين في زيارة تركيا، بينما ينظمون أنشطة خيرية محدودة تتمثل في استقطاب تلاميذ أبناء الأسر المعوزة من الناجحين في مستوى «الباكالوريا» لاستكمال دراستهم العليا بجامعاتهم المنتشرة في ربوع بلاد الأناضول، فيما يترصدون أبناء الأغنياء الذين لم يستوفوا شروط القبول في كليات الطب والهندسة بالمغرب للدراسة في المعاهد الخاصة بتركيا التابعة لرجال الجماعة.

المدارس وبيوت الطلبة.. استراتيجية هادئة لاختراق المجتمع

تشكل المدارس والمعاهد العمود الفقري لجماعة فتح الله غولن، حيث يعد الحقل التعليمي والتربوي مجالا خصبا لنشر نمط الأفكار أو التدين عن طريق والمناهج الدراسية والكفايات التعليمية التي يلقنها المعلمون والأساتذة للتلاميذ، وفي مدارس جماعة الخدمة يتم بناء شخصية التلميذ وفقا لأجندة الجماعة وزعيمها، ويؤكد مقربون من الجماعة بالمغرب أن منظومتهم التربوية تزرع في التلاميذ بطريقة غير مباشرة قيم ومبادئ المشروع الصوفي لزعيم الجماعة.

ويعد المغرب واحدا من البلدان الـ١٧٠ الذين تتوفر فيهم حركة «الخدمة» على المؤسسات التعليمية حيث يوجد لديهم أزيد من خمسة مدارس خاصة مسماة بـ «محمد الفاتح»، تتوزع على مدن طنجة وتطوان والجديدة والرباط والدارالبيضاء ومراكش وأكادير، وحسب مسؤولي الجماعة بالمغرب فإن هذه المدارس مؤسساتٌ تعليمية تمارس إلى جانب دورها التعليمي دورا في مكافحة التشوّه والتحلّل القيمي والأخلاقي والاستلاب

الثقافي لأبناء المجتمعات الإسلامية والمغرب واحد منها؛ فضلاً عن ذلك، فإنها تملأ الفراغ المحتمل الذي يمكن أن يحدث نتيجة عدم وجود هذه المدارس، ثم أن إنشائها يتم بتنسيق مع وزارة التربية والتعليم المغربية.

ومما يُلفت الانتباه أن أتباع غولن بالمغرب استطاعوا اقتحام عالم رجال المال والأعمال المغاربة بشكل لم تتمكن منه التنظيمات الإسلامية في المغرب، وحسب مصادر مقربة من جماعة غولن بالمغرب فإن عددا من المدارس وبيوت الطلبة المتواجدة بطنجة وتطوان والرباط والبيضاء ومراكش وفاس تم تشييدها بدعم أموال المغاربة، مما يوضح استراتيجية الجماعة في التغلغل الاختراق وقدرتها في الاستقطاب.

الاستقطاب الثقافي

إلى جانب المجال التعليمي يتركز نشاط جماعة «الخدمة» بالمغرب على المجال الثقافي الذي يُمثل هو الآخر أحد الجبهات القوية التي يشتغل عليها أتباع غولن في مختلف دول العالم المتواجدين بها، وذلك من أجل إعطاء دفعة قوية لمشروعها العابر للقارات والتعريف به واستقطاب أفراد جدد إليه، وفي المغرب عرف النشاط الثقافي للجماعة تطورا كبيرا منذ إنشاء المركز الثقافي بالرباط سنة ٢٠١١، فبعد أن كان يقتصر على توزيع عدد محدود من مجلة حراء أصبحت الجماعة بفضل المركز تنظم ندوات ملتقيات علمية تستدعي إليها نخبة من الأساتذة الجامعيين والمفكرين والأكاديميين البارزين في مجال العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية وعقد شراكات علمية مع مراكز أبحاث محلية وتنظيم أنشطة ثقافية مختلفة بمدارسهم الخاصة وفي بعض الجامعات المغربية.

وإلى جانب مجلة «حراء» التي عرفت مبيعاتها تزايدا ملحوظا في السنوات الثلاثة الأخيرة واتسعت دائرة الاشتراكات فيها لتصل إلى أزيد من ٣٠٠٠ مشترك، بفضل استمالتها لمجموعة من العلماء المغاربة البارزين للكتابة فيها بانتظام، أبرزهم الشاهد البوشيخي، وأحمد العباد، ومحمد الروكي وكلهم أعضاء الرابطة المحمدية لعلماء المغرب، فإن مُؤلفات وكُتب زعيم الجماعة فتح اللّه غولن باتت تتصدر واجهات المكتبات المغربية ومعارض الكُتب، ففي شهر آذار مارس الأخير تم انتقاء كتبه واعتبارها من كتب الشهر.

جماعة غولن والسلطة السياسة بالمغرب

يؤكد متتبعون للشأن التركي أن علاقة جماعة «الخدمة» بالدول العربية ضعيفة جداً، وأنها لا زالت في طور بناء علاقات الرسمية الخارجية لأنها جماعة مجتمعية وليست جماعة سلطة، غير أن واقع الحال بالمغرب مختلف عن ذلك تماما، فحسب إدريس بوانو القيادي في حزب العدالة والتنمية المغربي والباحث في الشأن التركي، في تصريحه لجريدة أخبار اليوم المغربية مطلع شهر يناير كانون الثاني من السنة الجارية، فإن جماعة غولن باتت لها علاقة قوية بالسلطة السياسية بالمغرب بعد أن بنت نفوذها في البداية على أكتاف الحزب الإسلامي الذي يقود الحكومة حاليا».

وإذا كانت الجماعة في السابق تحظى بتسهيلات كثيرة بقُربها من حزب العدالة والتنمية المغربي لتنظيم أنشطتها وملتقياتها بالجامعات المغربية والتي تتمحور عادة حول مشروع زعيمها الروحي المُصلح بديع الزمان النورسي أو حول مشروع البناء الحضاري لزعيمها التنظيمي فتح اللّه غولن، فإن نفوذها اليوم حسب ادريس بوانو لصحيفة أخبار اليوم وصل إلى الديوان الملكي، حيث استضاف الملك محمد السادس عقب أحد الدروس الحسنية في شهر رمضان من السنة الماضية، المشرف العام على مجلة «حراء» نوزاد صوّاش، أحد رموز جماعة فتح اللّه غولن في تركيا وخارجها.

لكن إذا كانت الجماعة بهذه القوة فلماذا لا تخشاها السلطة بالمغرب وتتساهل مع نشاطها وتحركتها؟ سؤال يفسره كثير من المراقبين بكون أتباع غولن جماعة صوفية تشتغل في المجال التربوي والروحي والعلمي وتبتعد عن العمل السياسي وعن كل الأنشطة الحزبية عملا بمقولة زعيمها الروحي بديع الزمان النورسي «أعوذ باللّه من الشيطان ومن السياسة»، كما تؤكد رفضها خلط الدين مع شؤون الدولة كما يُشدد على ذلك فتح اللّه غولن، علاوة على أن خلفيتها المذهبية تلتقي مع نفس مرجعية المسؤول عن الشأن الديني بالمغرب وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الذي يدعم توسيع رقعة

الـصوفية للتـضييق علـى التـدين الحركـي والجماعـات الإسـلامية.

جماعة غولن في ميزان المجتمع المغربي

تباينت مواقف من تحدث موقع» البيان» إليهم بشأن جماعة الخدمة أو جماعة فتح الله غولن، فبالنسبة لسناء منوني باحثة متهمة بالشأن التركي، فترى أن فتح الله كولن رائد نموذج جديد للإصلاح والبناء الحضاري في العالم الإسلامي، معتبرة أن الأزمة الأخيرة التي سلطت الضوء عليه وعلى جماعته التي شهد العالم بأعمالها وآثارها لصالح الإنسان في كل مكان، تؤكد هذه الريادية التي سبقت بمراحل نموذج «الإسلام السياسي»، حسب قولها.

أما عبد المولى الراشدي باحث في الحركات الإسلامية، فإنه يرى أن جماعة كولن من الحركات الصوفية المغرقة في الخرافة والأنطولوجيا لها هوى شيعي انقلبت على أردوغان حين انتقد إيران واصطف ضدها في الأزمة السورية، فضلا عن علاقتها المشبوهة مع الكيان الصهيوني، فهي ثارت ثائرتها أثناء حادثة مرمرة وانتقدت الحكومة التركية بدل «إسرائيل»، ويعتقد المتحدث أن الدعم الذي قدمته الجماعة في السابق لحزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا أخذت مقابله العديد من الامتيازات والنفوذ، وهاهي اليوم بمثابة الدولة الموازية والعميقة داخل تركيا ومتحالفة مع الفساد و رموزه.

وحسب شهادة أحد الطلبة القاطنين في بيوت الجماعة بالمغرب، فإن أتباع غولن «أناس يعرفون أصول الدين حق معرفته لكن أغلبيتهم لديه أهداف أخرى لا يمكن إدماجها في الإطار الديني، ويمكن القول أنهم يتخذون من التدين وسيلة لقضاء مآربهم وتحقيق طموحاتهم كما يستعمل الشيعة التقية»، ويضيف «لقد تراجعت صورتهم في أوساط المجتمع المغربي وحامت حولهم الشكوك أكثر بعد خروجهم في وجه رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان ووقوفهم أمامه بعد مواجهته للغرب وأمريكا و«إسرائيل».

نظام إيران والأيام الأخيرة

د. أنور عشقي – مكة أون لاين ٢٠١٤/٥/٥

يروي رئيس مركز الشرق الأوسط للدراسات الاستراتيجية والقانونية الدكتور أنور عشقي، تفاصيل زيارتيه إلى إيران اللتين تفصل بينهما ٣٥ عاما: الأولى ١٩٧٩ وذلك في الأيام الأخيرة لحكم الشاه محمد رضا بهلوي قبل سقوط نظامه نتيجة الثورة الإسلامية التي قادها الإمام الخميني، والثانية قبل قبل شهر حينما أوحت له الأوضاع في طهران بأن النظام يعيش اليوم أياما تشبه الأيام الأخيرة للاتحاد السوفييتي. ويرى أن النظامين هدفهما واحد هو إعادة الحكم الفارسي. وإذ سجل عشقي المتغيرات التي شهدتها طهران بناسها وأزيائها وسياراتها بشكل دراماتيكي، كشف عن محاوراته مع مسؤولين في الخارجية الإيرانية والتي أظهرت أن كلام طهران عن تحسين علاقاتها مع السعودية هو مجرد كلام لا يرتقي إلى الفعل أبدا.

كانت رحلتي الثانية إلى طهران في ١٤ جمادى الآخرة الماضي، بدعوة من مركز الدراسات الاستراتيجية التابع لوزارة الخارجية الإيرانية، بناء على رغبة من سفير طهران الدائم لدى منظمة التعاون الإسلامي.

كانت الزيارة الأولى في ١٩٧٩ ضمن طلاب كلية الأركان السعودية، وذلك قبيل رحيل الشاه، حينها كانت المظاهر الإسلامية معدومة في إيران، لكنني وجدت فيها التقدم في العلم والقوة في السلاح، فسألت الله أن تعود إيران إلى حظيرة الإسلام.

وقت الاستجابة

لم أكن أعلم وقتها أن الدعوة كانت في الأوقات المستجابة، لكن عودة إيران جاءت بغير ما كنت أتمنى ويتمنى معظم المسلمين في العالمين العربي والإسلامي.

فالقائمون على التغيير الذي حصل بقادة الإمام الخميني الذي قاد التغيير تحت عنوان «الثورة الإسلامية»، لم تتغير أهدافهم عن أهداف الشاه الذي كان يرغب بعودة الحكم الفارسي، فخلع القائمون على ثورة ١٩٧٩ عنهم ثياب العلمانية، ولبسوا ثياب الدين ليصلوا إلى أهدافهم الفارسية.

موجة متغيرات

ووسط هذه الموجة من المتغيرات، تغير بعض معالم وجه طهران، فالترف الذي كان سائدا في الماضي انقلب إلى تقشف، والسيارات الفارهة التي كانت تسير في شوارع العاصمة الإيرانية، أصبحت قديمة ومتهالكة، وغدا الحجاب الأسود يغطي أجساد النساء، وربطة العنق اختفت من أعناق الرجال.

لكن جمال الطبيعة ظل كما كان، وجبل البرز قائم على شمال طهران وقد اعتم بعمامة من الثلج، والأمن مستتب، والوجوه لا تزال تحمل مسحة من الابتسام.

مطبخ القرارات

صباح الثلاثاء أخذنا المرافق إلى وزارة الخارجية، قسم الدراسات، لزيارة السفير الدكتور هادي سليمانبور المدير التنفيذي لمركز الأبحاث والتعليم الدولي، وهو المركز الذي تطبخ فيه القرارات السياسية.

كان السفير هادي متطلعا إلى تحسين علاقات بلاده مع المملكة العربية السعودية، ولقد عبر عن رغبة إيران في ذلك، فقلت له: قبل عام كنت في اجتماع مع الرئيس الباكستاني السابق آصف زرداري الذي طلب لقائي عندما شاركت يوما في أحد المؤتمرات، وقلت له: إذا أردت لباكستان أن تحلق في سماء العلاقات الدولية، فما عليك إلا أن تذهب إلى شريكك الاستراتيجي الصين، وتعملا معا على حل القضية السورية، وإيقاف الحرب الدامية هناك والتي أودت بحياة عشرات الآلاف من السوريين، فأيد ذلك، لكنه لم يكن في مستوى المسؤولية والمغامرة السياسية.

واليوم أقول لكم: إذا أرادت إيران أن تحسن علاقتها مع السعودية، فما عليها إلا أن توقف شلال الدم في سوريا، فوافق على أن تتعاون معها السعودية.

وعندما سألني عن الآلية قلت: تشكيل حكومة وحدة وطنية تعيد بناء الدستور على أسس العدالة والديمقراطية، وتساعد على إجراء انتخابات نزيهة، وتخرج الرئيس السوري بشار الأسد من الساحة السورية.

الأيام الأخيرة

لقد عقدت خلال هذه الزيارة، ٦ لقاءات مع مراكز دراسات إيرانية مختلفة، كان آخرها لقاء مع الدكتور حسين أمير عبداللهيان وكيل وزارة الخارجية للشؤون العربية.

وبعد أن تكلمنا عن القواسم المشتركة التي تجمعنا وعلى رأسها الإسلام، قلت له: أرى إيران وكأنها تعيش الأيام الأخيرة التي عاشها الاتحاد السوفيتي.

لقد قررت الولايات المتحدة الأمريكية أن توجد ما يسمى بالشرق الأوسط الكبير، فأدخلت إيران وإسرائيل وتركيا.

إسرائيل فرضت على نفسها العزلة لأنها تتلكأ نحو السلام، وإيران أرادت أن تعيد المجد الفارسي أيام داريوس الأول عندما سيطر على البابليين في العراق، والكنعانيين في سوريا، والفينيقيين في لبنان، ووصل إلى البحر الأبيض المتوسط.

كما استيقظت الامبراطورية العثمانية في أحلام الحكام في تركيا، وقرروا مد الأناضول إلى البحر العربي، وحدث بين الدولتين الصدام الاستراتيجي في سوريا، واشتعلت الحرب الأهلية.

إن إيران لن تستطيع أن تكون دولة عظمى لأنها محدودة الثقافة واللغة، محدودة السكان، محدودة الجغرافيا، كما أنها تعاني من تعدد القوميات: فالآذاريون يريدون الاستقلال، والأكراد يتطلعون إليه، والعرب يشعرون بالحنين إلى عروقهم، والبلوش يجنحون نحو الاستقلال، فليس أمام إيران وتركيا إلا أن تعملا مع المنظومة الإسلامية لإجراء الحوار مع العولمة.

أيد عبداللهيان ما قلت وأخذ يلمح إلى أمور ادعتها إيران وصدقتها، فقال: إن التدخل في البحرين يسبب لهم إزعاجا، وكذلك دعم المعارضة في سوريا، لكننا نرغب في تطوير العلاقات مع السعودية.

لغة الاستراتيجية

قلت له: هناك فرق بين الاستراتيجي والدبلوماسي،

فالاستراتيجي يعرض الحقائق لتبنى عليها الخطط والقرارات، والدبلوماسي يلمح إلى الحقائق ولا يعرضها بوضوح ويسعى إلى التقارب دون الوصول إلى حل للمشكلات، فدعني أتكلم باللغة الاستراتيجية.

وقلت له: إن سياسة السعودية تقوم على عدة ثوابت فهي لا تسمح لصديق أو عدو أن يتدخل في شؤونها الدينية ولا تسمح لصديق أو عدو أن يتدخل في شؤونها الأمنية، ولا تسمح لصديق أو عدو التدخل في شؤونها السيادية، وما عدا ذلك يعتمد على المصالح والمعاملة بالمثل.

والسعودية لم أعلم أنها أضرت بالمصالح الإيرانية، ولم تتدخل في شؤونها، ولا ترضى لإيران أن تتدخل في شؤون دول مجلس التعاون الخليجي ولا الدول العربية، ومع هذا فقد حرصت المملكة على سلامة إيران وسوريا وأمنهما.

تفجير الخبر

في ١٩٩٦ حدث انفجار الخبر «شرق السعودية» وأدى إلى مقتل ١٩ أمريكيا، وأثبت التحقيق أن إيران وسوريا وراء ذلك، وأن بعض الذين نفذوا العملية فروا إلى إيران.

طلبت الولايات المتحدة الأمريكية وقتها المشاركة في التحقيق الأمني، كما طلبت الاطلاع على نتائجه، إلا أن السعودية لم توافق على هذا الطلب لأنها تدرك أنه لو تبين للولايات المتحدة الدور الإيراني - السوري، فستتعرض هاتان الدولتان للانتقام، وبسبب ذلك ساءت العلاقة بين أمريكا والسعودية لأن المملكة لا ترضى أن تتعرض إيران وسوريا للخطر.

أما البحرين فإن المملكة تدخلت بطلب من القيادة السياسية وفي إطار قوات درع الجزيرة، وبناء على النظام التأسيسي لمجلس التعاون، وكانت الولايات المتحدة أول من اعترض على هذا التدخل.

أما القوات السعودية فإنها لم تتعرض للشعب البحريني، بل قامت بحماية المنشآت الحيوية، لكن المملكة خشيت أن تتدخل إيران فتعمد الولايات المتحدة إلى تحرير البحرين بالقوة، ومن ثم تجد المبرر لتدمير إيران كما حدث في العراق.

العدو الأول

معالي السفير: لقد كان السفير الأمريكي بوزارة الخارجية فريد هوف في هذا المكتب منذ شهر يناقش قضايا العلاقات مع إيران، وبعدما عاد تكلم في الكونجرس الأمريكي وقال لأعضائه: تقول إيران إن عدوها ليس إسرائيل ولا أمريكا، بل السعودية، عندها بعثت برسالة الكترونية إلى السفير هوف وقلت له: إننا في مركز الدراسات نرغب في توثيق المعلومات، فهل ما ذكرته صحيح؟ أجابني قائلا: نعم وكان ذلك في معرض الحديث عن الأزمة السورية.

بعثت بهذه الرسالة ورسالتي إلى السفير حميد دهقاني «سفير إيران ومندوبها الدائم لدى منظمة التعاون الإسلامي في جدة» وقلت له: إنكم تقولون بأنكم ترغبون في علاقة جيدة مع السعودية وها هم يقولون في الخارجية الإيرانية إننا العدو الأول لهم.

عندها أسقط في يد السفير عبداللهيان، فقال لي: دعنا نفتح صفحة جديدة. فقلت له: العلاقات تتحسن في البداية على الأرض، فعلى إيران عدم التدخل في الشؤون العربية، وإيقاف الصراع المذهبي، وإيقاف الحرب في سوريا.

وانتهى الحوار بإلحاح على عودة اللقاء، وعدت مع زملائي في اليوم الثاني للسعودية. إن إيران دولة مسلمة وجارة لا يمكن الاستغناء عنها، لكننا نريد جارا حميما ومسلما صادقا، يجمع ولا يفرق، يحمي ولا يهدد، يشد أزر الصديق، يرد كيد العدو، لقد تعلمنا من قادتنا كثيرا، ولا بد من أن نبين ذلك.

هل تم وضع الأساس للدولة المسيحية في وادي النطرون

عامر عبد المنعم – المصريون ٢٠١٤/٥/٧

أخطر ما ورد في حديث المشير عبد الفتاح السيسي في الجزء الثاني من حواره مع إبراهيم عيسى

وليس الحديدي هو وضع أساس الدولة المسيحية في وادي النطرون ضمن ما يسمى التقسيم الجديد للمحافظات المصرية. هذا المخطط الذي يقف خلفه مسيحيون متطرفون ولوبي صهيوني من رجال الأعمال مرتبطين

بأمريكا وإسرائيل حاولوا تمريره في حكم الرئيس محمد مرسي ويومها كتبت مقالا في «المصريون» بعنوان « التلاعب الإداري لتقسيم مصر » فضحت فيه المؤامرة التي حاولوا تمريرها بزعم إضافة ظهير صحراوي وظهير أمامي على البحر لكل محافظة وقد سعيت وقتها لكشف اللعبة عبر توصيل المقال لوزير الاسكان الدكتور محمد وفيق في حكومة هشام قنديل وأرسلت لقادة الحرية والعدالة، وأضطررت لكتابة المقال مرة ثانية بعنوان « قبل تأسيس دولة الرهبان بوادى النطرون «بعد أن رأيت إصرارا على الاستمرار فتم وقف المشروع. ولكن من يقفون وراء هذا التقسيم الانفصالي استغلوا الفوضى الحادثة الآن وأعادوا تقديم المشروع للمشير السيسي الذي عرض أثناء حواره ذات الخريطة التي تنشئ محافظة في وادي النطرون (مع تعديل طفيف) لتكون أساس دولة الرهبان التي يعملون عليها منذ ٣٠ عاما. وأحد الداعمين لهذا التقسيم مليارديرمسيحي مصري أصبح صاحب قرار في إدارة السلطة الحالية في مصر. هذا التقسيم الإداري الجديد هو التنفيذ الدقيق لما خططه أصحاب التوجه الانفصالي من المسيحيين المصريين لإيجاد الرقعة الجغرافية المطلة على البحر التي ستكون بداية لتأسيس الدولة القبطية المزعومة. من المعروف أن بعض المسيحيين المصريين يتوقون إلى إقامة دولة خاصة بهم منذ نصف قرن تقريبًا ظنًا منهم أن الفرصة مواتية لضعف المسلمين وخضوع الدولة المصرية للهيمنة الغربية الصليبية. ولأن إقامة دولة يحتاج إلى شعب وأرض، كان المطلوب هو البحث عن المكان المناسب، فاختار أصحاب هذا التوجه الانفصالي – فى البداية - محافظة أسيوط، لوجود كثافة سكانية مسيحية بها، لكن هذا الخيار فشل، لأن المسلمين يشكلون أغلبية فى المحافظة، وتسبب تسرب فكرة الدولة المسيحية فى رد فعل إسلامي – فى السبعينيات - أفشل هذه الفكرة. بحث أصحاب المخطط الانفصالي عن مكان بديل، فاختاروا وادى النطرون والصحراء حتى الساحل الشمالى الذى ربما لا يوجد به العقبة التي أفشلت الحلم فى أسيوط، وهى الكثافة السكانية، إذ لا يزيد سكان هذه المنطقة عن ٨٠ ألف نسمة. فبدأ التوسع فى الأديرة بمنطقة وادى النطرون وتحويلها إلى قبلة للمسيحيين، وبدأ الرهبان يتركون حياة الزهد فى الدنيا إلى التوسع والتمدد والسيطرة على آلاف الكيلو مترات فى وادى النطرون.

بدأت الماكينة تعمل من خلال العلاقات الرسمية وغير الرسمية باستخدام طرق عديدة للتمهيد لهذه الدولة فتم الآتي: أولاً: بدأ دير الأنبا مقار يتوسع للسيطرة أولاً على وادى النطرون كله وعدم الاكتفاء بالموجود، وتحقق للدير ذلك، ففى سنوات قليلة قام الدير بالآتي: أوضع دير الأنبا مقار يده على ٢٠٠ فدان طبقا للقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٦٤. بسيطر الدير على ٣٠٠ فدان بقرار من رئيس الوزراء رقم ١٦ لسنة ١٩٧٧. تحصل الدير على ١٠٠٠ فدان منحة من السادات فى ١٩٧٨/٨/٢٣. ثسيطر الدير على ٢٠٠٠ فدان من قبيلة الجوابيص. ثانيًا: وعندما سيطر الدير على الوادى المنخفض عن سطح البحر بدأ يتحرك شمالاً للسيطرة على الأراضى وحتى العلمين بالساحل الشمالي، ووضع الدير يده على آلاف الكيلو مترات بالصحراء الغربية بحجة الاستصلاح. ونشرت الصحف فى أوائل التسعينيات قيام الدير بوضع يده على ٥٠ ألف فدان بالقرب من مدينة الحمام عند الكيلو ٦٩ بطريق الإسكندرية مطروح، وعلى ساحل البحر المتوسط على بعد ٢٠٠ كيلو من وادى النطرون. ثالثاً: بدأ دير الأنبا مقار فى التحرك شرقاً منذ السبعينيات، للسيطرة على المساحات الواقعة بين الدير وطريق مصر الإسكندرية الصحراوى لوضع يده على الأراضي الواقعة بين الكيلو ٢٦ حتى الكيلو ١١٨ طريق مصر الإسكندرية الصحراوي. رابعًا: استغلال أنصار المخطط الانفصالي أزمة السلطة قبل الثورة وبعدها وحتى الآن، فى الاستيلاء على آلاف الأفدنة فى الصحراء الغربية، من جنوب البلاد وحتى شمالها، وآخر هذا التمدد المسيحي على الأرض استيلاء رهبان من الإسكندرية منذ أيام على ٩ آلاف فدان فى وادى الريان بالفيوم وهى محمية طبيعية، مستغلين ضعف سلطة الدولة والاستقطاب السياسى الذى أوجد حالة من الفراغ. هذا التوسع زادت وتيرته بعد الثورة، حيث يستغل الرهبان أزمة السلطة وانشغال الرأى العام بالمعارك السياسية فى وضع اليد على مساحات شاسعة من الأراضى وبناء أسوار خرسانية عالية

وفرض سياسة الأمر الواقع. هذه الرغبة الجامحة فى بناء ما يشبه المستوطنات على هذه المساحات الكبيرة يطرح المزيد من المخاوف ويثير الشكوك حول الأسباب التى تدفع هؤلاء الرهبان للاستيلاء على الصحراء الغربية بهذه الطريقة. قد يكون هناك من يفكر فى إقامة الدولة المزعومة فى هذا الفراغ. وقد يكون هناك من يفكر فى أنه قد يأتى اليوم الذى يكونون فيه فى حاجة لمبادلة هذه الأراضى مع المسلمين فى الجزء الشمالى الغربى لمصر إن لم يستطيعوا السيطرة على غرب البلاد. وجزء من هذا الجناح الانفصالى المتطرف هو الذى يقود حملة التصعيد الطائفى خلال السنوات الأخيرة وزيادة المطالب الطائفية لابتزاز الدولة وإبعاد الأنظار عن المخطط الأصلى الدائر الآن غرب البلاد. بالتأكيد أصحاب التوجه الانفصالى قلة، ونعى أن أغلبية المسيحيين المصريين لا يفكرون فى مثل هذه المغامرات الانتحارية، لكن ليس من المقبول ولا من المعقول أن تخترق هذه القلة أجهزة الدولة وتمرر طموحاتها المتوهمة والمستحيلة، بل ونرى من يمرر هذه المشروعات الخطيرة وسط حالة التخبط الجارية، ويظن أن الشعب المصرى مغيب ولن يكتشف هذا التخطيط الشرير.

كيف يتوسع التشيع في المغرب ومن يموله اليوم؟

صحيفة الإتحاد الاشتراكي ٢٠١٤/٥/١٧

حينما بادر المغرب إلى قطع علاقاته الديبوماسية مع إيران احتجاجا على «تنامي النشاط الشيعي»، وأعطت وزارة الداخلية تعليمات لمختلف مصالحها بالمدن والأقاليم بتنظيم حملات مراقبة على مختلف المكتبات العمومية ومصادرة الكتب التي لها علاقة بالفكر الشيعي أو بإيران وحزب الله اللبناني، لم يكن يخطر على بال المشرفين على «الأمن الديني» أن الثقب الذي يتسرب منه غاز التشيع يقع خارج التراب الوطني، وتحديدا من بلجيكا، ومن بعض الشيعيين المستقرين ببعض دول جنوب غرب إفريقيا.

ويبدو من خلال ذلك أن استراتيجية إيران في توسيع مده الشيعي بمنطقة شمال افريقيا وضمنها المغرب تتمثل في تكثيف ديناميكية مؤسساتها وتمويل عنصرها البشري المكلف بالدعوة في منطقتين رئيسيتين . الأولى جنوب غرب افريقيا والثانية في الدول التي تشهد كثافة عددية للمهاجرين المغاربية وأبرزه بلجيكا.

وحسب إحصائيات يتم تداولها في الآونة الأخيرة فإن هناك أكثر من ٢٠ ألف شيعي مغربي بهذا ببلجيكا من بين ٣٠ ألف معتنق لهذا المذهب ينحدرون من إيران والعراق ولبنان وتركيا وسوريا. وقد عملت إيران على خلق بنية استقطاب دعوية تتمثل في إنشاء مراكز وجمعيات ومساجد ومكتبات، وبالأخص في بروكسيل ولييج وأنتويرين.

أما في غرب إفريقيا فأناطت استراتيجية إيران بالجاليات اللبنانية المتواجدة بالكوت ديفوار والغابون وسيراليون بدعم شيعة المغرب العربي. إذ يوجد ٣٥٠ ألف لبناني بدول غرب افريقيا يشتغلون في التجارة ويستثمرون في المعادن النفيسة ويسيرون فنادق ومؤسسات سياحية. وجزء كبير من هذه العائدات التي هي في الأصل تأتي كنتيجه لرؤوس أموال اتستثمرها إيران، جزء من هذه العائدات يوجه إلى شيعة المغرب والجزائر وتونس وليبيا بطرق مختلفة أبرزها التهريب عبر الحدود الجنوبية لهذه الدول.

إذن هناك استقطاب في أوروبا ودعم مالي من إفريقيا كي يتسع المد الشيعي الذي يتغذي من كذلك من تطورات سياسية تشهدها المنطقة الإسلامية منذ نهاية الثمانينات . وقد جاء في تقرير انجليزي صدر العام الماضي بأن إن المسلمين الشيعة ...هم الأكثر زيادة حيث أرتفع عددهم إلى أكثر من ٤٠٠ مليون نسمة، وهو مايشكل ربع عدد المسلمين في العالم البالغ عددهم مليار و ٦٠٠ مليون نسمة.

وكان ممثلون عن الجالية المغربية في بلجيكا قد عبروا، قبل سنوات، عن قلقهم إزاء انتشار المذهب الشيعي بين بعض أبنائهم الذين يتبعون تقليديا المذهب السني المالكي. وجاء هذا تزامنا مع تحذير أصدره عبد الله بوصوف الأمين العام لمجلس الجالية المغربية بالخارج،

من أن أربعة مساجد كبيرة للجالية المغربية في العاصمة البلجيكية بروكسل أصبحت تتبع المذهب الشيعي. ويتحدث ممثلون عن الجالية في بلجيكا خصوصا عن انتشار جمعيات ومراكز شيعية وتنظيمها أنشطة دعوية متنوعة خصوصا خلال شهر رمضان ونهاية كل أسبوع، حتى إن إماما مغربيا شهيرا قد أعلن اعتناقه للمذهب الشيعي، ويتعلق الأمر بالإمام الورداسي المنحدر من مدينة طنجة، وهو يعتبر الآن أول إمام شيعي مغربي، مما أدى إلى تشيع العديد من المترددين من المغاربة على مسجده، نظرا لمكانته في صفوف الجالية المغربية. كما أن هناك حاليا في بروكسيل عدد لا بأس به من الأئمة المغاربة الشيعة. وهذا النشاط تحديدا كان له تأثير مباشر على التحول إلى المذهب الشيعي في المغرب وخاصة بمدن الشمال.

وقال نور الدين الطويل أمين الهيئة التنفيذية للمسلمين في بلجيكا في تصريح صحافي إن المشكلة تتمثل في أن بعض أبناء الجالية لا يعرف العلم الشرعي ولا المعلومات الخاصة بالدين الإسلامي وبالتالي يتأثرون بالمذهب الشيعي. وشدد على ضرورة قيام الآباء بتوعية أبنائهم بخصوص هذا الأمر.

ويتحدث الطويل أيضا عن انتقال هذا التأثير «الشيعي» من بلجيكا إلى المغرب قائلا: «هناك أعداد غير قليلة من المغاربة اتبعوا المذهب الشيعي في بروكسل وينشرون هذا في المغرب، وأستطيع أن أقول لك إن التشييع ينطلق من بلجيكا إلى المغرب والتطرف ينطلق من بلجيكا إلى المغرب».

ولدى سؤاله عن الجهات التي تقف وراء نشر التشيع بين مغاربة بلجيكا يقول: «لا أستطيع أن أحدد لك بالضبط من يقف وراء ذلك. بالطبع هناك مصادر خارجية تحرص على تقديم المساعدة والدعم لنشر التشييع في أوروبا وفي المغرب». ولدى سؤاله عن عدد المساجد التي يتردد عليها المغاربة وصارت شيعية قال: «لا أعلم بالتحديد إن كان العدد أربعة أو أقل، لكن الهيئة التنفيذية فيها أعضاء من الشيعة، وهم من المسلمين، والهيئة تمثل جميع المسلمين». وفي رده على سؤال حول وجود نقاش أو حوار مع ممثلي الشيعة داخل الهيئة حول محاولات تشييع المغاربة قال الطويل: «أبلغناهم أننا لا نقبل أن ينشروا مذهبهم في أوساط أبنائنا أو أن تكون لديهم خطط حول هذا الصدد. هم يستخدمون قصصا عاطفية يتأثر بها من لا يملكون خلفية دينية، وتتركز تلك القصص العاطفية حول أهل البيت».

وهناك جدل بشأن تسمية الجمعيات التي ينشط فيها الشيعة في مدن بلجيكية مساجد. ويقول موسى كاظم، وهو من الشيعة العراقيين في أنتويرب البلجيكية، إنه لا توجد مساجد للشيعة لكن نسميها جمعيات. وأضاف: «لا يوجد مسجد للشيعة بمعنى كلمة مسجد في أنتويرب. قد يكون هناك ثلاثة أو أربعة جمعيات للشيعة في بروكسل ومسجد واحد أو اثنان على الأكثر، أحدها يُعرَف باسم مسجد الرضا، ويتردد على هذه الأماكن شيعة من جنسيات مغربية وعراقية وإيرانية ولبنانية وإيرانية».

ويتفادى غالبية المغاربة في بروكسل الحديث حول الموضوع بحجة أنه موضوع حساس. وكانت صحيفة إلكترونية بلجيكية تُدعى «إيرفيان»، قالت إن العاصمة بروكسل تعد المدينة الأولى من حيث النشاط «الدعوي» الشيعي ببلجيكا، وينشط بها لتحقيق هذه الغاية عدد من الجمعيات والمراكز الشيعية منها المركز الإسلامي الثقافي الشيعي - أهل البيت، ومكتبة بيروت، وجمعية الهادي المغربية. وتضيف أن هناك مساجد خاصة بالشيعة ضمنها مسجد خاص بالأتراك الشيعة ويتردد عليه الكثير من المغاربة.

ميثاق شرف ثوري
لأهم الكتائب المقاتلة في سوريا

بسم الله الرحمن الرحيم

إدراكا من القوى الثورية لخطورة المرحلة التي تمر بها ثورتنا المباركة وسعيا لتوحيد الجهود وفق إطار عمل مشترك يصب في صالح الثورة السورية فإن هذه القوى تؤكد التزامها بالآتي:

١- ضوابط ومحددات العمل الثوري مستمدة من أحكام ديننا الحنيف بعيداً عن التنطع والغلو.

٢- للثورة السورية المسلحة غاية سياسية هي اسقاط النظام برموزه وركائزه كافة وتقديمه الى المحاكمة

العادلة بعيدا عن الثأر والانتقام.

٣- تستهدف الثورة عسكريا النظام السوري الذي مارس الإرهاب ضد شعبنا بقواه العسكرية النظامية وغير النظامية ومن يساندهم كمرتزقة إيران وحزب الله ولواء أبي الفضل العباس، وكل من يعتدي على أهلنا ويكفرهم كداعش، وينحصر العمل العسكري داخل الأرض السورية.

٤- العمل على إسقاط النظام عملية تشاركية بين مختلف القوى الثورية، وانطلاقا من وعي هذه القوى للبعد الإقليمي والدولي للأزمة السورية فإننا نرحب باللقاء والتعاون مع الأطراف الإقليمية والدولية المتضامنة مع محنة الشعب السوري بما يخدم مصالح الثورة.

٥- الحفاظ على وحدة التراب السوري، ومنع أي مشروع تقسيمي بكل الوسائل المتاحة هو ثابت ثوري غير قابل للتفاوض.

٦- قوانا الثورية تعتمد في عملها العسكري على العنصر السوري، وتؤمن بضرورة أن يكون القرار السياسي والعسكري في الثورة سوريا خالصا رافضة أي تبعية للخارج.

٧- يهدف الشعب السوري إلى إقامة دولة العدل والقانون والحريات بمعزل عن الضغوط والإملاءات.

٨- الثورة السورية هي ثورة أخلاق وقيم تهدف إلى تحقيق الحرية والعدل والأمن للمجتمع السوري بنسيجه الاجتماعي المتنوع بكافة أطيافه العرقية والطائفية.

٩- تلتزم الثورة السورية باحترام حقوق الإنسان التي يحث عليها ديننا الحنيف.

١٠- نرفض سياسة النظام باستهداف المدنيين بمختلف الأسلحة بما في ذلك السلاح الكيماوي ونؤكد على التزامنا بتحييد المدنيين عن دائرة الصراع وعدم امتلاكنا أو استخدامنا لأسلحة الدمار الشامل.

١١- كل ما يسترد من النظام هو ملك للشعب السوري، تستخدمه القوى الثورية لتحقيق مطالب الشعب بإسقاط النظام.

هذا وندعو باقي القوى العاملة على الأرض السورية التوقيع على هذا البيان لنكون يداً واحدة في السعي لإسقاط النظام.

الجهات الموقعة على البيان

الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام – فيلق الشام – جيش المجاهدين – ألوية الفرقان – الجبهة الإسلامية.

التعليق على بيان جبهة النصرة بشأن ميثاق الشرف السوري

محمد براء ياسين – موقع نور سورية ٢٠١٤/٥/٢١

فقد صدر عن جبهة النصرة بيان نقدت فيه ميثاق الشرف الثوري الذي تواثقت عليه مجموعة من الفصائل الثورية في سوريا، وفي هذه الورقة مناقشة لهذه التعليقات .وذلك في عدة وقفات:

الوقفة الأولى :انتقد البيان عدم مشاورة المتواثقين لجبهة النصرة في شأن ميثاقهم، وذكر أهمية الشورى وضرورتها للجهاد الشامي، ولن يعدم الناظر في تصرفات جبهة النصرة أن يعيبها بنفس هذا العيب، بل لم يُعرف عنها أنها تشاور أحداً من الفصائل الأخرى في شيء من كبار القضايا أصلا، على أنه - بالنظر في حال المتواثقين وحال جبهة النصرة - يظهر أن عدم مشاورة الفصائل لها في شأن هذا الميثاق ليس راجعًا إلى عدم قناعة تلك الفصائل المتواثقة بنظام الشورى، أو عدم إدراكهم لأهميته في الساحة الشامية، وإنما سببه عدم قابلية جبهة النصرة لسلوك مسلك التواثق مع أحد على شيء من الأهداف الكبرى، فهم لا يعرفون من هيئات الاجتماع إلا الاجتماع تحت أمير واحد، وإلا فإنهم في ما يعلنونه يقولون إن هدفهم الأكبر تحكيم الشريعة، وهم في بيانهم هذا نفسه يقولون إن كثيرًا من الفصائل التي يخالطونها ويعيشون معها يشتركون معهم في هذا الهدف، أما وهذا الحال فلماذا لم يتواثقوا معها على هذا الأمر ؟! ولماذا لم نر لهم ميثاقًا يجمعهم على هذه الغاية ؟! على أنهم لم يذكروا من هي هذه الفصائل التي خالطوها ورأوها تتفق معهم على غاية تحكيم الشريعة، وهل أصحاب ميثاق الشرف الثوري يدخلون فيها أم لا

الوقفة الثانية: عابت جبهة النصرة الميثاق بعدم الوضوح والانضباط والتحديد، بل شط كاتب هذا البيان حتى زعم أن الميثاق: (قد فقد كل معاني الانضباط)، ولا يخفى على من قرأ الميثاق النصوص الصريحة في استمداد المبادىء الثورية من الدين الإسلامي، وتحديد هدف إسقاط النظام، والحفاظ على وحدة سوريا، واستقلالية القرار السوري ورفض التبعية، ومثل هذه النصوص صريحة في ضبط أفعال المتواثقين وغاياتهم، وفيها رفض لكل سعي سياسي أو عسكري يناقض هذه الغايات، لكن حقيقة الحال أن جبهة النصرة تريد بالانضباط الانضباط بمعايير الجبهة وبالوضوح التصريح بشعارات الجبهة.

الوقفة الثالثة : عابت النصرة الميثاق بعدم احتراز أصحابه في تعريفهم للدين الذي يرجعون إليه، من قيد الانبطاح والتخاذل واقتصارهم على قيد الغلو والتنطع، والجواب عن هذا ظاهر جدًا وهو أن النص على البعد عن التنطع والغلو، لا ينفي البعد عن الانبطاح والتخاذل، ولا أدري هل هذا انتقاد كتبه صاحبه بباعث النقد العلمي، أم أنه أراد الإيماء إلى أن هؤلاء المتواثقين منبطحون ومتنازلون ؟ أو أنهم متساهلون مع المنبطحين والمتنازلين؟

الوقفة الرابعة : لما كان النص صريحًا في الميثاق على انضباط الثورة بالدين الإسلامي، كان من المفترض أن يلاقي من جبهة النصرة الثناء إذ هو أمر مشترك بين المتواثقين وبينها، لكنها قللت من شأن هذا البند بأن الكل يدَّعي ذلك، أي أن الكل يدعي الانضباط بالدين الإسلامي، وما العيب على أصحاب الميثاق في كون الكل يدعي ذلك ؟ وهل يريدون مثلا من المتواثقين أن يصرحوا بالانضباط بالمرجعية الشرعية لتنظيم القاعدة وبآراء أبي محمد المقدسي وأبي قتادة ونحوهما حتى يمتازوا عن الكل وترضى جبهة النصرة ؟ إن فرضت جبهة النصرة أنه يمكن أن تجتمع الفصائل على هذا فهو اجتماع وهمي لا يمكن تحققه في الواقع .

الوقفة الخامسة : جاء في البيان في نقد ميثاق الشرف الثوري: (اقتصار الجهاد على صورة واحدة من صور دفع العدو الصائل وهو إسقاط النظام عسكريًّا، مع العلم أن هذا النظام قد صال على الدين قبل النفس والعرض والمال والنسل، فدفعه يجب أن يكون عن الدين وحاكميته قبل كل شيء، فإن من المقرر عند أهل الإسلام أن حفظ الدين مقدَّم على غيره من الضروريات) .

قلت: ليس هناك عدة صور محتملة لقتال النظام حتى يقولوا إن الميثاق اقتصر على واحدة، فهذا فساد في العبارة، ويبدو أنهم قصدوا أن الميثاق اقتصر على غاية واحدة من قتال النظام وهي قتاله لأنه عدو صائل لا لأنه ممتنع عن تحكيم الشريعة، وهذه المسألة برمّتها لم يتعرض لها الميثاق، ولم يذكُر له قولًا فيها، فلا أدري ما الذي استدعى هذه المسألة لذهن كاتب البيان حتى يطرحها ثم يذكر اختيارهم فيها ويخطّئ المتواثقين في اختيارهم.

الوقفة السادسة : جاء في البيان في نقد ميثاق الشرف الثوري: (نص البيان على أن الفصائل الموقعة على هذا البيان تريد أن تقدِّم رموز النظام ومجرميه إلى المحاكمة العادلة بعيدًا عن الثأر والانتقام، وهذا مخالف لما قررته الشريعة أن أصحاب الردة المغلظة ليس لهم في الإسلام إلا السيف).

قلت: هذا خلط بين مسألتين، فالمتواثقون يتكلمون في مسألة آلية التعامل مع أركان النظام بعد القدرة عليهم، وصاحب البيان يتكلم في مسألة الحكم الذي ينبغي أن يصدر فيهم، وهما مسألتان منفصلتان.

الوقفة السابعة : وصف البيان المتواثقين بالتناقض لكونهم رفضوا التبعية الخارجية ومع ذلك رحبوا باللقاء بالأطراف الدولية والإقليمية، وسبب ادعاء هذا التناقض أن جبهة النصرة لا تفهم من اللقاء بالأطراف الدولية والإقليمية إلا معنى لقاء التابع بالمتبوع، وهذه الدعوى بهذا الإطلاق ليس لها أساس شرعي أو واقعي ، والمأمول أن يتمكن المتواثقون من تكذيبها عمليًّا.

الوقفة الثامنة : إن مما يستدعي التنديد والإنكار أن تجعل جبهة النصرة المعاني الوطنية الاستقلالية معاني مذمومة وتجعلها نقيضًا لمعاني الأخوة الإيمانية الإسلامية، وهذا جهل شنيع، بل إن ما تواثقت عليه الفصائل السورية من الحفاظ على وحدة التراب السوري واستقلال سوريا واستقلال القرار السوري، هو من الغايات الجليلة، وهي من أولى ما يتواثق عليه، وضد

الاستقلال والحفاظ على وحدة سوريا هو التقسيم والتبعية فهل هما أمران ممدوحان لدى جبهة النصرة ؟!

الوقفة التاسعة : جاء في البيان إن وصف أصحاب الميثاق للدولة التي يرجونها بأنها دولة الحرية والعدل والقانون تظهر فيه الضغوط والاملاءات، وهذا لتوهمهم أن استعمال هذه الألفاظ إنما هو لإرضاء جهات ما مع عدم القناعة بها، وهذا ما نفاه رئيس الهيئة السياسية للجبهة الإسلامية، وليس في هذه الألفاظ أصلًا إشكال من الجهة الشرعية، فدولة الحرية والعدل والقانون يقابلها دولة العبودية والظلم والاستبداد، لا دولة الشريعة، فلا معنى لمعارضة ذلك بأن جبهة النصرة تريد دولة تحكم الشريعة وأن أهل الشام رأوا الخير في الشريعة إلى آخر كلامهم .

وختامًا فإنني إذ أرى إن كثيرًا من انتقادات جبهة النصرة للميثاق جاءت من جهة التعسف في الفهم، فإن ما أرجوه هو أن تتحسن القدرة على التفاهم بين الفصائل الجهادية في سوريا، ولا تخفى فائدة ذلك على عاقل.

الجهاد الشامي.. مآلات واجتهادات

شادي بن مهدي – موقع نور سورية ٢٠١٤/٥/٢١

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

فلقد ترددت كثيرًا في نشر هذا البحث، أما والأحداث تتسارع، حتى اتخذت طابع المواثيق، تعقبها الردود، تعقبها البيانات، ثم الاتهامات، ولما ينقمع سعار التكفير عند خوارج الدولة بعد، فإني رأيت أن أستعين بالله في عرض هذه الكلمات على إخواني، فتكون مدارستها على نطاق واسع، فلا تكون مقتصرة على دائرة ضيقة كما كنت أهوى، وليس هذا في سياق الانتصار لحزب أو جماعة، وإنما هو سرد لبعض المآلات المحتملة للجهاد الشامي، وبحث عن سياسة شرعية نتحرى فيها مطابقة مراد الله فيها، فنكون قد هيأنا لكل خيار زاده وعدته من الأسباب الشرعية والكونية.

ومع طمعنا بربنا أن يجعلها خير مآلات فإننا نستحضر منها ما نحذر، فنعد لذلك عدته. واعلم أخي القارئ أنني لا أتبع أية جماعة تنظيميًّا، وتربطني بأكثر الفصائل علاقة الأخوة والتناصح بشكل مباشر أو غير مباشر، ومع أن التواصل مع بعضهم أوثق، لما أجد في مسيرهم من الصواب والمؤهلات ما لا أجده عند غيرهم، لكني أحسن الظن بجميع المجاهدين وأحبهم وأخص الجبهتين.

وأشهد الله أني بريء من صنم الديمقراطية، كافر بطواغيت العرب والعجم كيف وقد خبرتهم عن كثب، وكنت حبيس سجونهم في أكثر من دولة قرابة عقد من عمري، وسوف أحيا على ذلك وأموت عليه إن شاء الله. وإنني أرى أن السلفية الجهادية إذا هذبت وجددت هي أقرب المناهج إلى الصواب، وراجع تغريداتي القديمة.

وبعد هذه المقدمة التي قدمتها كيلا يحمل كلامي على ما لا أريد: أشرع في المقصود بحوله تعالى وقوته، وأستهديه في كل منطوق من كلامي ومفهوم.

انطلاقة جهادنا الشامي كانت ثورة شعبية، تحولت إلى دفع لصيال الباطنيين، فلولا ذلك ما قامت سوق جهادنا، ولما راجت بضاعتنا، ولله في ذلك حكمة وتدبير.

بضاعتنا قبل الثورة كانت كاسدة، وتجاربنا جلها مزجاة تفاوتت بين بلد وآخر جودة ورداءة، وجمع بينها ما قرره حذّاق النظر كأبي مصعب السوري وغيره، كنا وما نزال ننشغل بالميدان عن التخطيط، وباللحظة الراهنة عن الخطة الشاملة، ونبني خطتنا على افتراض واحد، ونقاد بسهولة عن طريق إدارة ردود الفعل.

دلالة النصوص قطعية على إثبات تفرد الرب تعالى في الحكم، ووجوب التحاكم إلى الشريعة، والدعوة إلى ذلك، ثم امتثاله واقعا من أعظم المهمات وأجلها.

محل البحث والمدارسة الآن هو الوصول إلى ذلك بتمكن ورسوخ، وتفاصيل الخطوات الموصلة إلى المقصود في الواقع الحالي لبلاد الشام على وجه التحديد، وإذا أردت المثال فانظر إلى إجماع الجماعات على خطأ إعلان الخوارج دولتهم من حيث المبدأ، وأنه لا يوصل

للمراد قبل أن ينعقد الإجماع على أنهم خوارج، وانظر إلى فشل جميع تجارب الجهاديين في كل البلاد في الوصول إلى تحكيم الشريعة برسوخ وتمكين واستمرار.

وأما الطالبان فهي نموذج يتفق الجميع على توفر عوامل أدت إلى تمكينهم إلى حين، ولولاها لكان شأنهم في ذلك شأن غيرهم؛ لأن سنن الله لا تحابي أحدًا. والحقيقة أن دفع الصائل على مدار التاريخ كان بوابة التمكين، وسيادة الشريعة ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴿٢٤٦﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة] بيد أن الوصول من البوابة إلى ذلك المقصود دونه مفاوز وعقبات ومراحل، يحرقها إخواننا الآن، وأرى في الأفق فشلًا ذريعًا إن لم نستدرك، والله المستعان.

ولأن دفع الصائل فرصة تاريخية للأمة، وبوابة مهمة لإبراز المنهج الرباني الصحيح تم دعم دولة الخوارج لإفساد هذا الرونق وإعادة الأمور إلى الوراء.

يتحمل إخواننا في قيادة تنظيم قاعدة الجهاد المسؤولية الشرعية والأدبية عن نشوء دولة الخوارج واستمرارها بجرائمها لسنوات في العراق، ثم سوريا، وهيهات التملص من هذه المسؤولية بتأويلات ومعاذير، ومع ذلك فليس بالذنب الذي لا يغتفر ويوجد من الحسنات ما يرجى أن يمحوه، ولكن ذلك منوط بالإصلاح.

وحتى تعلم أن رفع الشعارات وإعلان الغايات مع حرص الكثيرين عليه والتدقيق في أمره لا يكفي بمجرده للوصول إلى المقصود، فاسأل نفسك لماذا لم تنضم جبهة النصرة إلى الجبهة الإسلامية بعد إعلان الجبهة الإسلامية ميثاقها، وقد كان ذلك في حياة أبي خالد السوري رحمه الله، وقد كانت الظروف المعينة على إنجاح تلك الخطوة أفضل بكثير من الآن، ونحن نلتمس للجبهتين المعاذير، والمقصود هاهنا إثبات الهوة بين الشعارات والواقع. وأرى لب الموضوع وجوهر البحث هو قدرة أهل الشام في واقعهم الراهن على تحكيم الشريعة وإعلان دولة إسلامية؛ لأن التكليف منوط بالعلم والقدرة بالاتفاق. وسوف نتجاوز شرط العلم مع أن كثيرا من المسلمين على أرض الشام الآن ليست لديهم الخلفية الشرعية، ولا مستوى التدين الذي يؤهله لفهم هذا التكليف أصلًا.

ونتجوز بالقول إن ذلك يمكن بيانه بطرق متعددة، مع أن مجرد البيان لا يكفي دون تربية على هذا المبدأ كي يكون مستعدًا للتضحية والبذل في سبيل الله. بملء الفم أقولها إن الجماعات الجهادية لو اتحدت كافة فلن تستطيع إقامة الشريعة على أرض الشام، ما لم يحمل معها المجتمع هذا التكليف بصورة أو أخرى، والمجتمع ليس في وارد حمله؛ لأن من تبعاته فتح معارك جديدة داخليًا وخارجيًا لشعب منكوب مشرد، بل لعله لا يصبر معنا على سقف إسقاط النظام إلا بجهد مجتمعنا المسلم، خليط بين قوم نشؤوا في ظل حكم البعث لعقود فأعانوهم بأنواع مختلفة من المعونة، فمنهم المرتد ومنهم الظالم لنفسه ومنهم من كان مكرها، فبدأت الثورة السورية بأقوام منهم من سبق ذكره، فعاد منهم إلى الله قوم فحسنت توبتهم، وبعضهم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، وقوم ظاهروا المرتدين، ومنهم قوم أحبوا دين الله، لكن تلقوه عن شيوخ الصوفية بمراتبهم المتفاوتة، فظهر منهم أبطال مجاهدون سطّروا الملاحم، وكان منهم الرديء وما بين ذلك، ومنهم قوم على الفطرة يمتثلون ما يتيسر لهم تعلّمه من دين الله فيقبلونه ويقبلون به على الله، وكان فيهم خير كثير كامنٌ قد استخرجه الله من قلوبهم، ومنهم قوم هم نخب إيمانية من مناهج متعددة، قُتل وأسر منهم الكثير في استنزاف المعارك مع النظام، وكان ذلك مرادًا لذاته من أعداء الداخل والخارج.

وكثير من الأصناف السابقة في الداخل والخارج هم أغلبية صامتة الآن، لم يقولوا كلمتهم بعد، وهم منشغلون في مكابدة شظف العيش وتبعات الحروب، ولقد رأينا في فتنة الهدن من بعضهم ما يغلب على الظن أن يسعّر ثورة ضد المجاهدين، فحاول المجاهدون احتواءهم ولا يزالون، وإن شئت سميت لك الأماكن، فكيف بهؤلاء إذا أغرتهم بنا الدول بعد إسقاط النظام، وحتى قبل ذلك، بإعادة الإعمار وتأمين الاحتياجات وعلاج المرضى، وشرطوا ذلك بالتبرؤ من المجاهدين.

ماذا سيصنع المنظرون والمتحمسون آنذاك غير وعظ الناس وإرشادهم، وكنا نقول ولا نزال: إن تجارتنا الرابحة دعوة المجتمع وإقناعه بحمل التكاليف، معنا، وخيارهم الآن جزاهم الله خيرا يعين المجاهدين لوجيستيًّا ومعنويًّا وإعلاميًّا، وبعضهم عسكريًّا؛ حيث يراهم يدافعون عن الدين والعرض والأرض، لكن هل سيطيقون الاستمرار على ذلك بعد إسقاط النظام وبداية حقبة جديدة ؟!!

ولا ننسى أن المعركة ضد المجاهدين تدار بشكل منظم من دول بإعلامها ومخابراتها وخلاياها النائمة التي تنتظر الأوامر لإشعال الفتنة بين المجاهدين، مع العلم أن زمام مسار الأحداث أحيانًا ليس في أيدينا وحدنا، بل تمسك به معنا وبغير إرادتنا دول ومخابرات ووسائل إعلام، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وإذا نظرت في السيرة وجدت أن زمن الاستضعاف استمر سنوات طويلة، ولو شاء الله لجعله دقائق أو أياما، ولكنها سنن الله، والمقصود أن ذلك يحتاج إلى وقت. وقبل ذلك فإن أي صدام غير الدفع يكون المجتمع طرفًا فيه بشكل مباشر أو غير مباشر، فهو مهلكة دينية ودنيوية خاسرة لا تحقق المقصود في إعلاء كلمة الله.

وجود نوع من القوة والسلاح لدى الجماعات دون توحد واستراتيجية وتلاحم مع المجتمع في بيئة محيطها شديد العداء لا يحقق شرط التكليف، والجماعات الجهادية مستنزفة أصلًا في معركة النظام، وهاهم الخوارج قد دخلوا على خط الاستنزاف، والغرب يجهز البدائل ويراقب بخبث. وليس المراد إيقاف الجهاد والدفاع عن المستضعفين لأجل دعوتهم، فالجهاد فريضة الوقت، ولكن المراد الانتباه إلى المكر ووضع الاحتمالات وخطط مواجهتها.

على مستوى المناطق المحررة نريد حالة من الهدوء والتغلغل والتجانس مع المجتمع واجتماع الفصائل على ما يحقق الضرورات الشرعية والدنيوية. الكيد البيني العبثي بين فصائل الجبهة الإسلامية يجب أن يتوقف، ولو بانسحاب فصيل منها، شرط أن يكون بالحسنى إلى تحالف آخر يحمل الأهداف نفسها. وكذلك التحفز بين الجبهة الإسلامية وجبهة النصرة، بحيث يكون سقف الخلاف الانتقاد دون التخوين، والبيان دون التحريض، والتنبيه دون المزايدة. فليصرح كل بما يدين لله به، لكن ضمن إدارة حكيمة لخلافات الساحة، بعيدًا عن تحريض الجنود والقواعد وازدراء الآخرين.

نحن كسلفية جهادية مصابون - إلا من يرحم الله- بعنجهية المنهج، والذي تسبب بأخطاء فادحة من أحرار الشام مع فصائل الجبهة الإسلامية.

كان يفترض اغتنام إقبال جيش الإسلام على الجبهة الإسلامية، وتوافقه على سقوفها، بلين الجانب، وخفض الجناح، والابتعاد عن رهاب اتهامه في منهجه وتحركاته. ولست في مقام تتبع أخطاء كل فصيل ونوعية خطئه، فجيش الإسلام كسائر الفصائل، له ما له وعليه ما عليه، ومن أخطائه ما قد عرفه العامة والخاصة.

ولا يزال مرض عنجهية المنهج وهوس الاتهام

والتحفظ يتسبب للنصرة بمشاكل قابلة للتطور الكارثي إذا لم تتم معالجتها جذريًا، وهناك شكاوى على الجميع.

ونأتي على موضوع الرُّخص الشرعية فنقول: إنها زمن الاستضعاف تكون على حد سواء للأفراد والجماعات والمجتمع، بحسب حال كل نوع، مع ضابط وجوب بقاء من يظهر الدين ويستعلن به، كي لا تندثر الرسالة ويدرس الدين، فالدعوات تقوم على ساق العزائم لا في أعماق الرخص.

والرخص الشرعية جزء من منظومة السير إلى الله، والتي روعي فيها بحمد الله ورحمته تفاوت القدرة والتحمل، وعدم تحميل ما لا يطاق. فإن الله ما شرع الرخص إلا لحكم بالغة ومصالح عظيمة، ولكن الدعوات لا تقوم إلا بالعزائم، ولا تنافي بين التكليفين، ولكل منهما أهله. وتجاهل أي جزء من هذه المنظومة أو إلغاؤه خلل فكري ومعوق عملي عن الوصول إلى مراد الله.

إذا أُنزلت السننُ الشرعية والكونية على حال أهل الشام اليوم فلن تجد أن تكليفهم يفضي إلى تمكين تام، وقدرة على إقامة كافة أحكام الدين، ومن زعم غير ذلك فقد كابَرَ الشرع والواقع معًا.

وهذه تغريدات الأخ أبي البراء الشامي:

١- إن من يرى عظم المسؤولية، وحساسية المرحلة، وأهمية الساحة، وحجم المؤامرة، وبالمقابل قلة الكوادر العاملة واستنزافها بالمعارك، وكثرة التنظير.

٢- والمنظرين، وقلة المجاهدين الصادقين الذين يحملون حقيقة مشروع الدولة المسلمة، ويتحملون في سبيل ذلك الأعباء والتكاليف يتيقن أن ساحة الشام.

٣- ستكون أرضًا للإعداد والرباط والجهاد والعلم واكتساب الخبرات، وإن بيننا وبين التمكين الحقيقي عقودًا من الزمن، إلا أن يشاء الله. أدركوا الساحة. انتهت تغريداته

إذا كان بيننا وبين التمكين عقود طويلة فماذا نصنع نحن خلالها؟ وماذا يصنع الناس؟ هل يمكننا وقف مسارات الأحداث ريثما ندعو الناس ويتحقق التمكين؟!

ولا ننفي بعد حصول نصر جزئي إمكانية تلمس جماعة ما لدرب العزيمة وسلوكها مشروع شهادة باعتزال للشرور وثبات على المبدأ وربما قتال عليه حتى الموت، ولكن الإشكال الخطير الذي يعترضنا هاهنا هو صعوبة انفكاك ذلك عن مجتمع منهك منكوب إلا بصورة ذهنية مجردة.

ومع أننا نحسن الظن بربنا أن يجعل لنا مخرجًا وينصرنا ويمكننا، لكن ماذا لو أخذت الأمور غير ذلك المسار، وفرض على الشعب السوري عملية سياسية، وقد حصل ذلك في بلاد عديدة من بلدان الثورة، فمناقشة ذلك ووضع الحلول الشرعية للتعامل معه أمر مطلوب.

ونسأل الأفاضل لا غيرهم من أمثال الدكتور القنيبي ماذا لو وصل الأمر إلى طريق مسدود؟ هل ستطلب من الجهاديين استهداف أية عملية سياسية بقوة السلاح؟ أم ستكتفي بإعلان البراءة ونُصح الشعب السوري المسلم، ووعظ الفصائل والجماعات كما فعلت ذلك بزخم في مصر، عندما حكم الإخوان وانخفضت وتيرته بعد الانقلاب؟

ونسأل حزب التحرير الإسلامي وواجهته الجديدة المستنسخة أكرم حجازي، الذي آذى كثيرًا من المسلمين بمؤازرة خوارج الدولة وتبرير أفعالهم، هل في جعبتكم آنذاك غير ما ذكر أعلاه؟!!

ونسأل الدكتور العريدي إذا فرض على الشعب السوري بعد هذه السنوات من الصبر والتضحية عملية سياسية ديمقراطية، أبرأ معك إلى الله منها، فهل ستفجر نفسك في أقرب مركز انتخابي بين ظهراني المسلمين الذين أرهقتهم المجازر فهربوا منها جهلا وسذاجة وقسرا إلى مسرحيات الانتخابات؟!! ومناسبة سؤالي أنه قال:

«تحكيم الشريعة أو الشهادة». وإلا فإني أجل أمثاله من الفضلاء عن الإجابة بنعم، فإن تلك الإجابة هي بحال أتباع خوارج الدولة أليق، وحاله إن شاء الله حمل المنهج على علم وبصيرة.

فإن وجد من كان جوابه نعم فلنهيئ آنذاك خطة للهروب، ولنبحث عن مغارات في الجبال وملاجئ في الهضاب نعتصم بها من الخوض في دماء محرمة، قد أطال النصيريون والروافض سفكها على أرض الشام، فصحبة الوحوش في القفار خير لنا من أن نقتل بأيدينا من نجا من عوائل المسلمين من مجازر النصيرية، أو فلنوطن أنفسنا على جبال كجبال الجزائر، وحرب عبثية طويلة لا معنى لها، يرافقنا فيها الخوارج بصحبة خبيثة، يجروننا فيها إلى خارجيتهم، ولتقر أعين جنرالات سوريا وحاخامات اليهود بعزلنا عن مجتمعنا، كما قرت عيون جنرالات الجزائر وقد طال انتظارنا لإنجازاتهم على رؤوس الجبال منذ سنين.

وانظر إلى حال الجماعات التي استهدفت مجتمعات المسلمين بسبب الديمقراطية المشؤومة التي فرضت عليهم أو زينت لهم، وأكثرهم مستضعفون، ستجد الهوة بينها وبين الناس عميقة، والأحقاد عظيمة، فلا هم حكموا الشريعة ولا هم حافظوا على رسالتهم ودعوتهم ومكانتهم بين الناس، وقد كان يسعهم إبراء الذمة وإعلان البراءة والدعوة إلى التوحيد، ومواجهة المكر بالمكر، والخطة بالخطة، بما يحقق الضرورات ويقرّب من المقصود الخطوات، دون صدام مسلح يستزلون إليه لم تتوفر عدته، ولم يتهيأ رجاله، وعبئ المجتمع ضده، فإلى أين هؤلاء يذهبون؟!!

أيا كان المآل فنحن بحول الله بعقيدتنا مستمسكون كقدوتنا عليه الصلاة والسلام؛ إذ يطوف بالكعبة وحولها مئات الأصنام يعلن التوحيد، ويتبرأ من الشرك، فلما أن أعد - فداه أبي وأمي- للأمر عدته بهجرة ومجتمع وجهاد وقدرة عاد إلى مكة فاتحًا، لله خاضعًا، ولأمره ممتثلًا.

وقد علمني الجهاد أن أشك في كل من يحرض على مصادمة المجتمع المسلم الجاهل بدلًا من دعوته، ولا يدلسن أحد عليكم فيجعل ذلك من التنازل والانبطاح، ولئن ضل أقوام وهلكوا بتتبع الرخص فإن ذلك لا ينسخ بقاء مشروعية الرخص بشروطها وضوابطها من غير إفراغها من مضمونها، وما كان ربك نسيًّا.

أفكلما خرج بلعام، أو ترخّص زنديق حرمنا على المجتمعات والجماعات رخصًا شرعية أبيحت لهم على طريق حمل العزائم والوصول إلى الغايات، فما أعجب ذلك!!

فليضل البرهامي، وليسقط حزب النور، ولتتعفن جماعة أولي الأمر على أعتاب أسيادهم، فما شأن المجتمع السوري المنكوب وجماعاته في ذلك، نعم إن لهم من ذلك العبرة والعظة فحسب، وأما منع الرخص أو التشديد على مباح فليس هذا لعشك يا حمامة فادرجي.

فحنانينكم على أهل الشام، وافحصوا شعاراتكم وإنجازاتكم من عشرات السنين، فما الإخوان المسلمون بأولى بالمراجعة والتصحيح منكم، وإن ما جرى في مصر وتونس ثم ليبيا لعبرة، ليس للإخوان فحسب، بل لكم أيضا ولنا ولجميع الجهاديين، فلا تجعلوه عضين للإخوان فحسب، لهم المرة ولنا الحلوة.

وأقولها بملء الفم: إن أي مشروع يفضي إلى المصادمة مع المجتمع السوري المسلم المنهك وفصائل الجهاد محرم غير مشروع، لا قبل سقوط النظام ولا بعده. وإذ ذاك سيضيع الجهاد وثمراته ضياعًا أشد من ضياعه بالديمقراطية البغيضة، ولن يتحقق المقصود، ولنتعظ بغيرنا ولنحسن معًا تلّقي الكتاب والسنة. وإليك هذه ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل].

أقولها صريحة: إذا كان التعاون مع الأركان

وغيرها، والتفاهم مع الدول بأقصى حدود الرخص المباحة، ولو كانت بالتحقيق والتأمل مرجوحة... إذا كان ما سبق يحصل به فعلًا وحقيقة إسقاط النظام النصيري، ومنع استمرار محنة أهل الشام لعقود، فلا أشك أن أقل أحواله الجواز، ومن كان لديه رد شرعي على هذا الكلام بحرفه فليأتنا به، وأُمهله كما أمهل ابنُ تيمية مناظريه في الواسطية.

فإن كان الاعتراض على إمكانية ذلك وجدوده فذاك بحث واقعي قابل للنظر والاجتهاد، ولا يتعلق به تضليل ولا تفسيق، فضلًا عما هو أشد من ذلك.

واعلم أن المقصود تنبيه إخواني إلى وجوب إشباع مثل هذه المسائل بحثًا قبل تقريرها، فضلًا عن إطلاق الأحكام عليها ليتلقفها شبابٌ متحمس، فيضل بها.

وبين يدي حشود من النصوص الشرعية بفتاوى الربانيين من السلف والخلف، ومواقف قادة الجهاد ومخضرميه، وأشباه ونظائر من ساحات الجهاد قديمًا وحديثًا، وكذلك كتب كليات الشريعة ومقاصدها وأصول الفقه والاستدلال واستنباطات الأذكياء والحذاق. وإنما أعرضت عن الخوض في تفاصيل ذلك لأني أرى أن أزمتنا أزمة وعي ومدارك وأهلية، تشوبها أحيانا أزمات قلبية والله الهادي.

وإن الموقعين على الميثاق الأخير قد استشرفوا ما سبق من معانٍ واجتهدوا رأيهم وخاضوا مغامرتهم، وأجد ما فعلوه أقرب إلى التضحية منه إلى التنازل. فإنهم اجتهدوا رأيهم واختاروا ما يصلح لحال المسلمين في بلاد الشام مع تيقنهم بما ينتظرهم من سباب وشتائم، فضلا عن التكفير واستحلال الدم، وأقله العتب والانتقاد من قريب حبيب. وإنما يلامون على عدم مشورة إخوانهم في جبهة النصرة وغيرها، فإن الساحة والمركب واحد.

فليصدر من شاء ما شاء من المواثيق والبيانات والردود، فإنه إذا كان الشرع مرجعنا، فالجميع إخواننا، وقد ولّى زمن هيبة الأشخاص والعواطف والحماسات، بعد ما كشفت طامات التجارب وكوارث الغلو ما عندنا من سوءات.

وأقول لمن يخالفني الرأي من أهل الفضل والأدب: دونك أهل الشام أمامك، هلم معنا ندعوهم ونقنعهم بحمل التكاليف معنا، ولن يقدر علينا إذ ذاك العدو. واستعن بالله وضع معي خطة رشيدة تشمل ملايين المشردين، وعشرات الآلاف من المصابين، وآلاف البيوت المدمرة، وعشرات البلدات الممسوحة عن الأرض، وأول ذلك اجتماع كلمة المجاهدين، فأين هم من ذلك والنظام مستمر في إجرامه ورأس حربته الخوارج والمجتمع الدولي يراقب بصمت وخبث.

وإني أحسن الظن بإخواني أن يرتقي وعيهم وحسهم بالمسؤولية إلى درجة استشراف المستقبل ومواجهته بما ينبغي، مستعينين بالله على ما يرضيه.

هذه تغريدة للأخ أحمد الأسعد: «تاريخ الأمة سجال بين الكَرَّة والفَرَّة، والنهوض والسقوط، والاختلاف والائتلاف، لكن المَعْلَم الثابت في كل الأحوال هو حسن العاقبة وخير المآل» انتهت التغريدة.

وختامًا، هذا ما تيسر من الكلام، وقد شرحت مرادي بما تبلغه فصاحتي، فإن اقتص أحد منه وحمّله على ما لا أريد فقد اتبع أهل الزيغ متشابه الكتاب، وحملوه على غير مراد الله، فكلام عبد عيي مسرف على نفسه من باب أولى. هذا وما أصبت فيه فمن الله وحده، وما أخطأت فمن نفس مذنبة ومن الشيطان، وأستغفر الله منه وأتوب إليه.